# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الإدارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد ـ القاهرة

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والإرشاد القومي

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٥٩ الخميس ١٨ ذو الحجة ١٣٨٣ هـ ـ ٣٠ أبريل ١٩٦٤ م ـ السنة الحادية والعشرون

## الفهرس



# الشئون الثقافية في مجلس الأمة

بقلم: عباس خضر



كان فاتحة دالة مبشرة . ذلك التقرير الذي وضعته اللجنة التي تشكلت من رؤساء اللجان

بمجلس الامة ، لبحث برنامج الحكومة وابداء الراى فيه . **اذ عبر هذا التقرير عن راى الشعب وتطلعاته فى مختلف الشئون ادق تعبير ، فدل على وعى الوكلاء بقضايا موكليهم وتفهمهم اياها وحرصهم على ابراز دقائقها ، وبشر بما يرجى من خير فى حياتنا الدستورية الجديدة .**

لمسنا ذلك فى المجال الذى نعمل به ونعايش مشكلاته ، وهو المجال الثقافى ، فقد تضمن تقرير اللجنة عددا من المسائل الثقافية ، فأتى على جوانب مضيئة فيها ، والقى الضوء على زوايا معتمة ، واشار بما ينبغى ان يعمل .

اولى هذه المسائل **بطء التحول الفكرى وعدم** لحاقه بالتحول المادى ، واستحثاثه حتى يبلغ هذا **اللحاق فى مرحلة الانطلاق ، عبر التقرير عن هذا تعبيرا مهذبا شافيا اذ قال « وتلاحظ اللجنة انه على الرغم من الجهود الكبيرة التى بذلت خلال الاثنى عشر عاما الماضية ، فان التحول الفكرى الذى ينبغى ان يصاحب التحول الاشتراكى ، ويسبقه ويبشر به ، فى حاجة الى مزيد من الجهد ، حتى يسير التحول الفكرى ، جنبا الى جنب ، مع التحول المادى فى مرحلة الانطلاق القادمة »**

والسؤال الآن : لماذا تخلف التحول الفكرى عن التحول المادى ، بل عن التحول الاشتراكى على وجه عام ؟

مما يتصل بجواب هذا السؤال ما قاله الناقد السوفييتى « رودنيكوف » وقد سئل فى اثناء زيارته لجمعية الادباء عن رأيه فى الادب المصرى على ضوء ما ترجم منه الى اللغة الروسية ، **قال : ان الحياة فى الجمهورية العربية الآن اجمل واعمق مما تنعكس فى انتاج ادبائها ..** واردف بعلل متلطفا : **فى** النهضات عادة يقف الادب مبهورا بسرعة ما يجرى فى الواقع عاجزا عن اللحاق به ..

وهذا التعليل فى الحقيقة ينصف الادب ، فهو بطبيعته يحتاج الى وقت يتم فيه الهضم والتمثيل ، حتى يتحول ما يهضم ويمثل الى دم يجرى فى الشرايين .

ولكن الحقيقة التى لا شك فيها ، برغم ذلك ، ان الحركة الادبية متخلفة عن التطور الاجتماعى والمادى ، ومرحلة التحول عمرها الآن اثنا عشر عاما ، وهى فترة تزيد بكثير على ما يحتاج اليه الادب من وقت التمثيل والتخمير .

**وهذه الظاهرة لا بد لها من اسباب ، ولا بد لبيان الاسباب من الصراحة ، والصراحة تقول :**

● مرافق النشر والتقديم وامكانياتها الكبيرة التى يسرتها الدولة ، **لا تزال فيها عناصر معوقة** ، سواء فى مؤسسات النشر وفى الصحف والمجلات ، وغيرها كالمشرفين على اختيار المسرحيات والتمثيليات الاذاعية والتليفزيونية ، وان كانت الأخيرة اقلها فسادا بحكم حداثتها ، والفساد غير التفاهات الملحوظة ..

● **فى تلك الجهات كلها جيوب ممدة من آثار الماضى** ، تلعب فيها اواعب مختلفة تتجمع فى الشعار المعروف «شيلنى وشيلك» وتحكمها عقليات تستعصى على التطور الاشتراكى .

● **العناصر المعوقة اخطر وابرع من ان تتيسر ادانتها ، ومن اسلحتها التزلف الى الرؤساء ، والظهور امامهم بالوجه المشرق ، واخفاء المظلم .**

● نشأ عن ذلك انحسار فى الانتاج الجيد الصالح ، وامتداد بل فيض من البضاعة التى تعمل باقل جهد للحصول على اكبر منفعة .. وهناك مواهب جديدة نامية على نظافة تسد فى وجوهها الابواب .

● ونشأ عن ذلك ايضا ان تصدر للقيادة الفكرية غير المقنعين الجماهير ، **وقد اصبحت هذه الجماهير اكثر وعيا واخلاصا ممن يتصدون لقيادتها فكريا !**

● يجرى كل ذلك فى مستوى التنفيذ ، وهو يناقض تماما الدوافع البانية العظيمة فى مستوى القيادة العالية .

● **اى تناقض اكبر من ان تمنع ابنة رئيس الجمهورية من دخول الجامعة لعدم توفيقها فى الحصول على الدرجات الكافية ، على حين يجرى تبادل المنافع بين المتصدين والمديرين للحركة الفكرية ؟!**

**لننتقل بعد الى المسائل الأخرى التى تضمنها تقرير مجلس الأمة .**

تعرض التقرير بعد ذلك لثلاث مســـائل مهمة .

أولاها ما أعربت عنها اللجنة بأنها « **امتداد الخدمات الثقافية الى القطاع الريفى ، فالقرية المصرية لاتزال — على الرغم من كـل مابذل حتى الآن — تعـانى الحرمان من الخدمات الثقافية والترفيهية كالمسارح الاقليمية ، ودور السينما ، والمكتبات الريفية والمتنقلة »** واعتقد ان كل جهد ثقافى يبذل للقطاع الريفى ضائع فى الهباء اذا لم يقم على اساس ملاءمة ما يقدم للبيئة والمستوى ، ولا بد لكى تحدث الثقافة اثرها فى تكوين المواطن الريفى وارساء القيم الاشتراكية فى صميم وجدانه — لا بد لذلك ان يرى المواطن ملامح حياته ومشكلاته فيما يعرض عليه ولا بد كذلك ان يقدم له الغذاء الثقافى فى الشكل الذى يحبه عادة ، وهذا سهل ميســور بالنسبة للمسرح والسـينما ، ولكن الصعوبة فى الكتاب .. فليس عندنا حتى الآن اهتمام بالتاليف المناسب للريف وخاصة فى المسائل الدينية، **وقد اشار الزميل الدكتور محمـد أحمد خلف الله فى احدى مقالاته الى القصص الشعبية باعتبارها وسيلة ثقافية محبوبة فى القرى المصرية** ، واضيف انه ينبغى ان تطور هـذه القصص بكتابتهــا من جديد وبث المضامين والمفاهيم الجديدة فى خلال صــورها وحوادثها بطريقة فنية خالية من الخطابة والاسلوب المباشر .

***

والمسألة الثانية هى رعاية الشباب ، واذا كانت اللجنة لاحظت ان بيان الحكومة خلا من الاشارة اليها ، فان تقرير اللجنة **خـلا ايضا ممـا ينبغى أن يقـدم للشـباب من الخـدمات الثقافيـة** ، اذ اقتصر على معسكرات العمل والاندية الرياضية وما اليهـا . وتنقص الخدمات الثقافية فى محيط الشباب . ولحوظ فى نوادى الشباب القائمة والتى لم تعمم فى كل بلاد الجمهورية . وقـد يقال ان الشـباب يتعلمون فى المدارس والجامعات ، وهـذا يكفى .. ولـكن لا ، فالثقافة العامة الغير المدرسية شيء آخر لا بد منه . والتاليف عندنا لا يهتم بهـذه المرحلة كثيرا ، فهناك حلقة مفقودة فى الثقافة العامة بين التاليف للطفولة والتاليف للكبار .

***

والمسألة الثالثة خاصة بالطفولة ، يقول التقرير :

**« واذا كانت الطفولة هى صانعة المستقبل ، كما يقول الميثاق ، فانه لا بد من أن تنال الطفولة وعالمها الصغير اهتمام اجهزة الثقافة ، وان تقوم مؤسسات متخصصة لتلبية الحاجات الثقافية للطفل العربى »** .

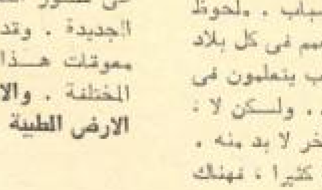
والواقع انه كان عندنا منذ سنوات نهضة لابأس بها فى عالم التاليف الطفولى ، ولكنها فترت اخيرا ، لأن دور النشر بالقطاع الخاص كانت تعتمد فى بيعها للكتب على وزارة التربية والتعليم ، اذ كانت الوزارة تشترى من كتب الاطفال كميات كبيرة لجميع المدارس، ولكنها الآن لاتفعل ، اذ اصبح الامر منوطا بمديريات التعليم التى لم تنتظم العلاقة بينها وبين دور النشر فى هذا المجال بطريقة تشجع على الانتاج .

ولا شك ان الحل الذى يقدمه تقرير لجنة مجلس الامة حل موفق ، **والمؤسسات المتخصصة المقترحة لا بد بطبيعة الحال ان يكون بها خبراء ومتخصصون ، ولن تكون المسألة كما كانت مســالة الاقتباس من القصص الاجنبية ، او محصورة فى القصص المفرطة فى الخيال الموغل فى البعد عن الواقع ، فالهدف هو تكوين الطفل العربى كما ينبغى أن يكون فى مجتمعه الجديد .**

***

وبعد فان المشكلة كلها فى مختلف المجالات الثقافية هى تصور التعبير عن المجتمـع الجديد واهدافه الجديدة . وقد حاولت أن القى بعض الاضواء على معوقات هـذا التعبير ووجوه النقص فى مجـالاته المختلفة . **والامل كبير فى صانعى الحياة على هذه الارض الطيبة .**

**عباس خضر**



# مثقفون

للدكتور محمد أحمد خلف الله

- ٣ -

تحدثنا من قبل عن عمل المثقفين ، وعن واجبات المثقفين • وقلنا ان من اهم أعمالهم محاربة الجهل ، ومحاربة التعالم ، ومحاربة الظلم والاضطهاد ، والعمل على الكشف عن الحقيقة والوقوف الى جانبها مهما يكن الأمر •

وقلنا ان من أهم واجباتهم نحو أنفسهم ونحو الثقافة هو احترامهم لأنفسهم واحترامهم للثقافة ، بحيث لايخضعون هم لذوي النفوذ وأصحاب السلطان ويكونون لعبة في أيديهم يسخرونهم حيث شاءوا ، وأنى أرادوا ، وبحيث لايسخرون الثقافة لأغراضهم الخاصة ومنافعهم الشخصية ، فيتاجرون بها ، ويستغلونها فى دفع مغرم أو كسب مغنم •

واليوم نريد أن نتحدث عن حقوق المثقفين • حقوقهم قبل الدولة ، وحقوقهم قبل المجتمع الذى يعيشون فيه •

وحقوق المثقفين تدور فى الحقيقة حول محور واحد هو الحرية • الحرية من الضغط المادي والضغط المعنوى ، الحرية التى تكفل لهم عيشا هنيا رغيدا ، وفكرا قويا منطلقا ، ومؤسسات ثقافية غنية بكل ما يحتاج اليه المثقف من وسائل تعلي من قدر الفكر ، وترفع من شأن المستوى الثقافى للأمة أو للمجتمع القومى •

والدولة هى التى تستطيع أن تكفل كل ذلك ، ولكننا نحتاج الى الشعب فى هذا المقام ليخفف من ضغط الدولة حين تتهاون فى حقوق المثقفين ، وليقف الى جانب المثقفين حين يقفون فى مواجهة الدولة حرصا على الحقيقة أو على الصالح العام •

ودولتنا فى الجمهورية العربية المتحدة لم تدخر وسعا فى سبيل التنمية الثقافية فقد انشأت من المؤسسات الثقافية مانفخر به ونعتز ، ورصدت فى سبيل ذلك من الأموال مايساعد على هذه التنمية فى أقصر وقت ممكن • كما أنها انشأت من الجوائز مايحفز المثقفين ورجال الفكر على خوض المعركة ، والانتصار على الجهل والخوف والذل ـ فعلت كل ذلك ايمانا منها بأن الثقافة الحية هى القوة الدافعة التى يعلو بها قدر الأمة ، وتتقدم بها الأمة فى مضمار الحياة •

ان مشكلتنا الحقيقية قد تكون فى عجزنا عن ايجاد الشخصيات القوية والتمكين لها من الحياة فى مشكلاتنا وازماتنا المعاصرة ، بحيث تنتج لنا هذه الحياة حلولا جذرية لكل مانعانى من أزمات ومشكلات •

يقول قائل : ان ماتحرزه الأمم من تقدم متوقف فى الدرجة الأولى على ماينشأ ويعمل فيه من شخصيات متحررة ، منظمة ، تقدمية فى ذاتها ـ ولا عجب فى هذا ففاقد الشئ لا يعطيه •

عبثا تنتظر اشاعة الحرية ممن لم يتحرر فى ذاته أولا •

وعبثا تتطلع الى من لم ينتظم عقله ، وتنسجم قوى نفسه ، لأن يكون باعث انسجام وانتظام فى المجتمع •

وعبثا نرجو ممن يخشى المغامرة ، واقتحام آفاق العمل والعقل والروح أن يدفع بمجتمعه الى الأمام •

ان أخطر واجب علينا ، وأجسم عبء ملقى على عاتقنا ، هو تكوين هذه الشخصيات التى تصبح فى المجتمع مبعث قوة وحياة واندفاع •

***

ويقول قائل آخر : انه لعيب فاضح فى نهضة أية أمة من الامم الا يتعرض كتابها لبحث مشاكلها بحثا علميا دقيقا ـ لابحثا صحفيا يقصد منه ترويج الفكرة او التهجم عليها • وقد جرت العادة حتى الآن فى معظم البلاد العربية أن يتخذ الساسة أولا قراراتهم الملزمة ، وبعد ذلك يتعرض الكتاب لها بين المعارضة والتأييد •

ان الواجب يحتم على المفكرين كمواطنين ان يعرضوا على الملأ آراءهم فى كل مشكلة رئيسية قبل أن يبت ذوو الشأن فيها •

اننا نريد أن يكون من بيننا مفكرون يكتبون للحق فقط • يبحثون كل موضوع بحثا علميا مجردا ، ويعرضون نتائج بحثهم على الامة وعلى القادة قبل ان يبت فى الأمر أو تتخذ فيه الأمة قرارا حاسما •

ان الأمم الحية لاترتجل فى سياستها ، ولاترتجل أيضا فى قادتها • انها متى استقرت على رأى تستطيع أن تخلق القائد الذى يحقق هذا الرأى •

اننا نريد من يقظتنا أن تكون واعية ، معلومة الاسس والسبل والغايات ، ولا نريدها يقظة حائرة بين الأسس ، والسبل والغايات •

ويقول القائل الأول : ومن واجبات الدولة رعاية الموهوبين من ابنائها : اكتشافهم ، وتمهيد سبل التثقيف لهم ، وامدادهم بالوسائل المادية والأدبية الميسرة للانتاج والابداع .

لقد ذكرنا أن الانتاج الحضارى هو ، آخر الأمر ، ابداع فردى تقوم به القلة المختارة من أبناء المجتمع . ولا أدرى كم منا من يقابل الجهد الذى نبذله فى سبيل المعوزين والمرضى والعجزة من ابناء مجتمعنا ، والجهد الذى نوجهه للممتازين المبدعين أو ذوى القابليات للابداع .

حاشا لى أن أنتقص قدرالعواطف النبيلة والمساعى الجميلة المنصرفة الى مكافحة العوز والمرض ، وتخفيف الألم والعاهات التى يشكو منها مجتمعنا .

حاشا لى أن أدعو الى غير سبيل البر ، والرأفة ، والاحسان .

لكن أليس واجبا علينا أن نبذل جهدا مماثلا نحو الذين يملكون امكانيات التفوق ومؤهلات القيادة ، والذين باستطاعتهم ، اذا فسح لهم المجال ، أن ينهضوا بقومهم وبالانسانية الى مراقى الحق والخير والجمال ؟ .

لاشك فى أن الديمقراطية الاجتماعية تقضى بتعميم التعليم والصحة ووسائل العيش لمختلف طبقات الشعب ، ولكن هذه الديمقراطية تغدو عقيمة ، وتؤدى الى تدنى مستوى الحياة اذا لم تستطع أن تكتشف المواهب ، وتجلوها ، وتنميها ، وتدفع بها الى مراكز القيادة ، وتهيىء لها أجواء الصفاء والابداع .

***

لقد مضى الوقت الذى كان فيه زاد العلماء خبزا وماء ، وأصبح طريق الاعداد العلمى شائكا ، ومتطلبات الانتاج الفكرى كثيرة عزيزة المنال .

كذلك لم يعد من المعتقد ان الأديب لايمكنه أن يأتى بالروائع الا اذا افتقر ، وشقى ، وصارع ظروف الزمان وحاجاته .

ولعل من اقوى أسباب ضآلة الانتاج الثقافى فى المجتمع العربى الحاضر ان رجاله لا يستطيعون أن يتفرغوا له ، بل يضطرون الى كسب معاشهم من أعمال أخرى تستأثر بنشاطهم ، ووقتهم ، واعصابهم ولا تترك لهم متسعا للانصراف الى العمل السامى الذى عيأتهم الطبيعة له .

## « كلمات »

● مشكلتنا اعمق بكثير من السياسة والاقتصاد ـ هى مشكلة امة فقدت مثلا قديمة كانت القوى الفعالة فى حياتها ولم تجد مثلا اخرى تتفق عليها ، وانى اعتقد ان العمل الجديد يجب أن يكون اخلاقيا روحيا قبل كل شىء .. اننا نحتاج الى من يقودنا ثانية الى المثل الخالدة ـ الى الحق لذات الحق ، الى الخير لأنه خير ، الى الجمال لوجه الله ، الى الحرية مهما تكن العقبات ، الى الشجاعة ، الى الحب ، الى كل فضيلة وكل كمال .

● ان من يريد ان ينصب نفسه معلما لقوم ومرشدا وهاديا يجب عليه ان يترفع ويتطهر كما فعل سعدى الشيرازى حين تقدم للهداية والاصلاح .

يا سعدى ، لقد تشجعت فى القول
وما دام السيف بيدك فتول به الفتح
وقل ـ كل ما تعرفه ، فمن الخير ان تقول الحق
فلست مرتشيا ولا مرائيا .
ان الطمع قيد ، فاقطع بحكمتك هذا القيد
واقض على الطمع وعلى كل ما تريد .

وهكذا استطاع سعدى الشيرازى ان يخاطب الملوك والأمراء وأن يفرض احترامه على الناس جميعا .

ان المؤدب اذا أراد أن يعد شابا موهوبا ليكون فنانا أو صاحب ذوق سليم ـ يضع بين يديه أروع ما رسمت ريشة الفنان .

واذا أراد أن يغذى شاعرية شاعر . يطلعه على ما أنتج اعظم شعراء العالم . لأن صحبة العباقرة تعودنا على جو من المرتفعات ، وتعطينا النغم والنمط والأسلوب الذى ينبغى أن نجرى عليه .

وهكذا اذا اردنا ان يصبح الناشىء مواطنا فاضلا فلنضع امامه انبل الأمثلة ...

واذا أردنا مصلحا ومنشئا ورجل دولة فيجب ان ندله على نماذج فذة ...

الرؤى الجليلة والمثل العالية هى الزاد الضرورى لرحلة الحياة ، ويحصل الناشىء على ذلك الزاد من صحبة افضل الأشياء فى العالم ـ أجمل الصور ، أحسن البناء ، أفضل النظم ، انبل الأشخاص ، أرقى الدول ..

دكتور
محمد أحمد خلف الله

# ياطالع الشجرة

للدكتور محمد مندور



لا يزال مسرح الجيب يعرض بنجاح مسرحية « يا طالع الشجرة » للاستاذ توفيق الحكيم التى اخرجها الأستاذ سعد اردش ويشترك فى تمثيلها الممثلون صلاح منصور ونجمة ابراهيم وجلال الشرقاوى والدكتور ابراهيم سكر ·

والواقع أن مسرحية « يا طالع الشجرة » كانت قد أحدثت دويا كبيرا وأثارت مناقشات وتفسيرات عديدة منذ أن ظهرت فى كتاب وقبل أن تعرض على خشبة المسرح مما لفت اليها نظر هواة الفن التمثيلى وجمهرة المثقفين ·

فمسرحية « ياطالع الشجرة » كانت اول مسرحية كتبها او على الأصح نشرها توفيق الحكيم بعد عودته من باريس التى كان قد اقام فيها عاما كاملا ممثلا لبلادنا فى هيئة اليونسكو الدولية ولا شك انه قد تابع فى باريس تلك التجديدات والبدع التى كانت باريس ولا تزال مصدرا لها وكان آخر تلك البدع فيما نعلم ما يسمى بمذهب « اللامعقول » وهو المذهب الذى يدين به الآن عدد من الكتاب والفنانين الذين يرون فى أحداث وتصرفات ومواقف عالمنا الحاضر ما يدعوهم الى الايمان بأن العقل البشرى قد أفلس منطقه وأن العالم لم يعد يسير على منطق مفهوم او قابل للفهم فجميع اسس الفهم المنطقى بين البشر قد انهارت وأفلست ولذلك نراهم يرسمون فى اعمالهم الادبية لهذا العالم صورا ينعكس فيها اللامعقول وقد اشتهر من بين كتاب المسرح اللامعقول فى السنوات الاخيرة « صموييل بكيت » الايرلندى الاصل و « يوجين يونسكو » الرومانى الاب و « آداموف » الارمنى السوفيتى وكلهم يقيمون فى باريس ويكتبون بالفرنسية ·

ولم يكد توفيق الحكيم يعود من باريس حتى شهد مسرحنا التجريبى الجديد وهو « مسرح الجيب » يفتح ابوابه ويبدأ نشاطه بتقديم مسرحيتين من اللامعقول يثيران ضجة ومناقشات حامية متصلة وهما مسرحية « نهاية اللعبة » « لصموييل بكيت » ومسرحية « الكراسى » « ليوجين يونسكو » ·

***

والظاهر ان توفيق الحكيم قد اهتز وتأثر بهذا الاتجاه الجديد وهو رجل طلعة بطبعه فرأيناه يكتب لمسرحيته الجديدة مقدمة ضافية يتحدث فيها عن مذهب اللامعقول الذى يلغى الزمان والمكان ويجمع فيها بين المتناقضات ثم يزعم أن أدبنا الشعبى نفسه قد عرف اللامعقول ويستشهد فى ذلك بموال شعبى مشهور اخذ عنه عنوان مسرحيته نفسه وهو الموال الذى يقول :

يا طالع الشجرة

هات لى معاك بقرة ·

تحلب وتسقينى

بالمعلقة الصينى

فهو يرى أخذا بحرفية الالفاظ ان مطالبة طالع الشجرة بأن يأتى معه ببقرة تحلب وتسقى اللبن من اللامعقول ولكن الحقيقة أن الادب الشعبى لا يمكن أن يتهار فى اليأس واللامعقول لأن الشعوب لاتعرف اليأس ولا تفقد الايمان بمنطق العقل وهذا الموال من السهل فهمه وتفسيره على اساس من الرمزية الشفافة التى يلجأ اليها الشعب صيانة لماء الوجه وفرارا من العار فالزجال الشعبى يطلب الى من يطلع الشجرة أى الى من يصيب الغنى ألا يبخل على غيره ببقرة تحلب اللبن وتسقيه ·

وإذا كان الاستاذ توفيق الحكيم قد أراد فى مقدمة هذه المسرحية أن يوحى بأنها تشبه من قريب أو بعيد منهج أصحاب اللامعقول فى التأليف المسرحى فاننا كنقاد ومتلقين لا نقر هذا الايحاء ونفضل أن نحتفظ لاديبنا الكبير فى هذه المسرحية أيضا بمنهجه الاصيل الذى تميز به فى مسرحياته الكبيرة امثال « أهل الكهف » و « بجماليون » و « شهرزاد » و « سليمان الحكيم » و « السلطان الحائر » وهو منهج « الرمزية الذهنية » .

***

فالمسرحية تعرض قصـــة زوج غرس فى حديقته شجرة تؤتى أنواعا مختلفة من الثمار ومن الواضـــح انها لا يمكن الا ان تكون شجرة الفن ثم تغيب زوجة هـــذا الرجل عن البيت فيتهم بقتلهـــا ودفنهـــا تحت الشجرة وكان جثتهـــا نوع من الســماد ويؤكد هـــذا الاتهام درويش يلوح انه عليم بخبايا النفوس وتوشك التهمة ان تلتصق بالرجل ولكن الزوجة لا تلبث أن تعود الى الظهور فى البيت وكان التحقيق السابق لم يكن له من هدف غير الكشف عن النية السيئة التى كانت تراود الرجل وكان الدرويش صوت الضمير الذى فضح هذه النية وبالفعل لا تكاد الزوجة تعود الى المنزل حتى نشهد بينها وبين زوجها مشهدا هو الوحيد الذى يشبه مشـــاهد اللامعقول وبوجه أكثر تحديدا يشبه عن قرب مشـــهدا مماثلا فى مسرحية « المغنية الصلعاء » لكاتب اللامعول « يوجين يونسكو » وفى هـــذا المشهد نرى الزوج والزوجة جالسين على مقعدين متجاورين والزوج يتحدث عن ثمرة البرتقال التى سقطت من شجرته قبل أن تنضج بينما تتحدث الزوجة عن جنينها الطفل الذى أجهضته قبل أن يتم نموه ولما كان منهما مستغرقا فيما يشغله : الزوج فى ثمار شجرة الفن . والزوجة فى ثمار الحياة فانهما لا يتلاقيان فى حوارهما ، وكان اللغة لم تعد وسيلة للتحاور والتفاهم بين البشر على نحو ما يوحى يوجين يونسكو فى مسرحيته « المغنية الصلعاء » ، لأننا نعيش فى عصر تستغرق كل منا همومه الخاصة وتمنعه عن التجاوب مع الغير .

***

وبهذا المشـــهد فسر توفيق الحـــكيم فى فن وذكاء استحالة الالتقاء بين الفن والحياة ، فالرجل مشغول بفنه عن زوجته وحياتها اى مشغول بفنـــه عن الحياة ولهذا استطعنا ان نفهم لماذا اخذ هـــذا الزوج ينفذ فعلا الجريمة التى فضحها من قبل « الدورويش » كرمز لضميره الخفى وبالفعل لا يلبث أن يقتل زوجته خنقا ولكنه فى هذه المرة لايحمل جثتها ليدفنها عند جذور شجرته كسماد لها لأنه يكتشف فى اللحظة الأخيرة ان السحلية الخضراء التى كانت تظهر له من حين الى حين خارجة من جحر عند جذور الشجرة قد ماتت فى جحرها وكأنه قد اكتفى بهذه السحلية الخضراء كرمز لسحر المرأة ســمادا لشجرة الفن ممـــا يوحى بأنه يعتقـــد أن ســـحر المرأة هو وحده الذى يصلح غذاء لشجرة الفن ، وأما جسمها أو جثتها فلا يصلح لمثل هذا الغذاء ولهذا يترك جثة زوجته حيث هى ويسدل الستار على المسرحية كلها .

وهكذا يتضح كيف أن مسرحية « ياطالع الشجرة » ما هى الا علاج جديد للمشـــكلة التى شغلت توفيق الحـــكيم فترة طويلة من حيـــاته وهى مشكلة الصراع المزعوم بين الفن والحيـــاة التى سبق له أن جســـدها مرارا فى الصراع بين الفنان كرمز للفن والمرأة كرمز للحياة وهل يستطيع الفنان أن يجمع بين الفن والحياة اى المرأة أم لا يســـتطيع على نحو ما هو واضـــح فى مسرحيتـــه « بجمـــاليون » ومـــسرحيتـــه الاخــــرى « شهرزاد » .

واما مشهد اللامعقول الذى أدخله توفيق الحـــكيم فى تضاعيف مسرحيته فهو ليس من اللامعقول الا فى ظاهره ، واما فى حقيقته فهو معقول جدا وقابل للفهم والتفسير وبالفعل استخدمه توفيق الحكيم فى تفسير سبب اعتزام الزوج قتل زوجته ثم تنفيذ هذا القتل فعلا كنتيجة لاحساسه الحـــاد بانه لا يمكن أن يوفق بين الفن والحياة وانه لا بد له من أن يختار أحدهما وقد اختار فعلا الفن مجسدا فى شجرته وان اكتفى فى تسميد تلك الشـــجرة بالسحليـــة الخضراء التى ترمز لسحر المرأة .

ومن الممكن بل من الواجب ان نعارض راى الحكيم فى التعارض الجذرى الذى يراه بين الفن والحياة لانه اشبه ما يكون بتعارض نزعمه بين الماء ومنبعه فما الحياة الا منبع الفن القوى النـــافع الرفيع وان كان ذلك لايمنعنا من الاعجاب بمهارة توفيق الحكيم الفائقة فى تأليف هـــذه المسرحية العاتية كمـــا لا يمنعنا من الاعجاب بالطريقة الماهرة الذكية التى اخرج بها سعد أردش هذه المسرحية وبالاداء التمثيل الرائع الذى أدى به جميع ممثليها أدوارهم الشاقة .

**د . محمد مندور**

# في الملعب

بقلم الدكتورة نعمات أحمد فؤاد

والملعب كالمسجد يجمع القلوب ، كل فريق ، على هوى واحد ومعنى واحد . الألوف ينفعلون فيقومون معا ويجلسون معا ... كل لمسة في الملعب تشيع فيهم شعورا واحدا وكأنه سريان الكهرباء .

والملعب كالمسجد تضج أرجاؤه بابتهالات صامتة وناطقة .. قسمات الوجوه تقول يا رب وخفقات القلوب تقول يا رب كل شيء يختلج في الملعب بعصبية أو بدعاء .. فما ان تبدأ المباراة حتى يستحيل الملعب الى ميدان كساح المعارك ، يرسم فيه قائد الفريق الكرات ويوجهها ميدان يتكفل فيه أعضاء من الفريق بتموين الجبهة وآخرون بحماية ظهرها وطلائع للهجوم وأجنحة فاذا تحرج الموقف بعد هذا كله وتخطت الكرة كل الاستحكامات وبلغت الخطر استمات حارس المرمى في الدفاع عن مرماه وقد تعلقت به أنفاس أنصاره وعيونهم وصلواتهم .

وفي الملعب ترتفع حرارة كل شيء فجأة مع صفارة الابتداء وتغدو الكرة الصغيرة كالريح تجرى فتسوق أمامها أشياء كثيرة كبيرة بعضها الخوف والرجاء واللهفة اللاهثة حتى اذا اقتربت من المرمى استحال الخوف عند البعض رعبا قاتلا وملأ الرجاء وجوه البعض الآخر اشراقا ولمعانا ... وهنا تغدو الكرة مرة أخرى كالقدر تحدد المصائر .. فتجرى على قوم سعدا وتجرى على آخرين بؤسا ونكدا لا ينجلى وغبرة على الوجوه ترهقها قترة كيوم الهول ..

***

وحين تنطلق الكرة كسهم كيوبيد وتسكن في قلب أحد المرميين فالملعب هنا بحر هائج من التصفيق والضجيج والدبيب والوجيب والهتاف .. فيضان غامر من الفرحة وبحران من الحماسة السكرى يهلل فيه المنتصرون .. ويكبرون ..

ويتقبل اللاعبون النصر والهزيمة بروح سمحة « رياضية » ولكن أنصار الفريقين يلفح لهيب مشاعرهم الجو وخاصة في أعقاب كل ( هدف ) فتحد المناقشات وتتحدى النظرات وتتنابز القسمات وتتلاهز الحركات حتى بغير كلام .. متنفس للحيوية ولون من الاحساس بالذات وحرية الاختيار وحرية التشيع وحرية الحب وهذا سر الجدية والخطورة التي تطبع رياضة كرة القدم بالذات .

وفي الملعب أشياء كثيرة تستحق الفرجة .. فضاء الملعب الذي يأخذ شكل دوائر زرعت رؤوسا ، وجوه الأنصار والخصوم وتعليقاتهم وسخرياتهم .. نظر أحدهم فلم يعجبه مرة أمر ( الحكم ) فصاح ( ولو انه قريبي شيلوا الرف ... ) .

ومن طرائف الملعب أيضا تقاليد المتفرجين فللكرة الركنية تصفيقة تقليدية وللكرة الطائشة من الخصم صفير تقليدي أيضا واستهجان تقليدي حتى اذا وثق السعداء من الفوز واطمأنوا الى النتيجة وارتاحت الاعصاب المرهقة استحثوا الوقت واستعانوا على تحطيم الفريق الآخر بصفير تقليدي مؤذن بانتهاء المباراة .. فاذا كان النصر عزيزا والخصم عتيدا رفعت المشاعل من أوراق الصحف ورقصت المقاعد مع أصحابها وحمل الأبطال على الأعناق وعمت مظاهر الفرح بيوت النادي الفائز ومجالس أهله ..

والنوادي كالناس حظوظ وشخصيات فناد ينصر بالرعب وناد عنده بلون فاتته موهبة الحضور وناد يرزق بغير حساب حب الناس وولاؤهم ووفاؤهم حتى اذا عثر أو تعثر .. بل ان العثار يزيد حساسيتهم نحوه فاذا أقيلت العثرة وانجلت الغمرة غدا نصره عيدا تعلن فيه البشائر وتزف التهاني وتتبادل التعليقات القريرة والابتسامات الظافرة النشوى ..

***

وقد غدت كرة القدم لعبة شعبية وشعبيتها هذه أشاعت بين صفوفنا مصطلحاتها أو الترجمة العربية لمصطلحاتها من جناح وظهير ومتوسط هجوم وحارس مرمى وهدف وهداف وغيرها من الالفاظ التي طوعها الاستعمال المتوالي ولم تكن كذلك منذ عشر سنوات

وكرة القدم اليوم تصاحبها ظاهرات طريفة فالاسماء الكاريكاتورية للاندية واللاعبين والاوصاف الادبية والفكهة للمباريات حتى لتستطيع أن تلحق الصفحة الرياضية في بعض الصحف بالصفحة الادبية .

وقد أوحت كرة القدم الى نقادها هذه الالقاب الجميلة التي يخلعونها على المبرزين فيها فهناك ( المايسترو ) و ( المهندس ) و ( صانع الالعاب ) ..

وهناك « الثعلب العجوز » لبارع الذكاء واسع الحيلة ٠٠ ولم ينس مانحو الرتب ، الحكام ، فهؤلاء اباطرة واحكامهم فرمانات وما الى هذا من طرائف ٠

ورياضة كرة القدم لعبة فنية وهي ككل فن لها قيودها واحكامها ، والتزاماتها التي لو تخلى عنها اللاعب تخلت عنه أو تخلى عنه النصر في ميدانها وهي تقوم على استعداد خاص ومهارة فردية ولياقة بدنية نفتقدها كثيرا في لاعبينا كعنصر هام من عناصر النجاح والبلوغ ٠٠ يرفد هذا كله حاسة سادسة تضبط الحركات والتوقيت ٠

***

ورياضة كرة القدم فن يمتع حين يبدع بل ان متعة الانسان لا تحد اذا تنقلت الكرة بين الفريق موقعة توقيعا وراءه فكرة وخطة وتكتيك يعرف فيه كل لاعب أسرار مركزه وواجباته ٠٠ هنا تغدو كرة القدم موسيقى أو باليه ٠

ورياضة كرة القدم فن له أصوله وقواعده واصطلاحاته من ( فتح اللعب ) و ( كسب الارض ) و ( قفل الزاوية ) و ( الحائط ) و ( اللوب ) و ( ضربة المرمى ) و ( الرمية الحرة غير المباشرة ) و ( التجلية ) و ( القلش ) و ( الترقيص ) ٠

وهو فن غني بالكنايات الجميلة فهز الشبكة كناية عن بلوغ الهدف ٠

ورياضة كرة القدم فن فيه مذاهب ومدارس واساليب مختلفة فالطريقة البرازيلية الشهيرة ٤-٢-٤ ٠٠٠ وهي التي يلعب بها معظم بلاد العالم وأخذت بها مصر حديثا ، والطريقة الانجليزية وهي الطريقة القديمة التي تعتمد على تقدم خمسة، جناحين ومساعدين ومتوسط هجوم ٠٠ ويعمد الانجليز الى التمريرة الطويلة لفتح اللعب وتوزيع دفاع الفريق الآخر لتخلو منطقة المرمى وتسهل مهمة التسديد ٠

ورياضة كرة القدم لعبة اخلاقية لو صح هذا التعبير فهي -(لعبة الفريق) اليه مجتمعا ينسب النصر فيها ولو كان ظاهره فرد بعينه فاذا انفتحت ثغرة في الفريق انفرط العقد كله واختل التوازن ٠٠٠ ان كرة القدم في أوجها الأعلى خير مجلى للتعاون وانكار الذات وتضامن المجموع ٠

وفي رياضة كرة القدم -كسائر الوان الرياضيات- تتمثل عبادة البطولة ٠٠ تتمثل في التعصب للأندية واللاعبين ٠٠ وهي من البطولات التي تعتمد على (الحضور) ولعل أخطر أنواع البطولات ٠ (البطولات المسرحية ) ولاعب الكرة كالممثلة الجميلة اذا اختفت من المسرح لا تلبث ، مهما ذاعت شهرتها ودوى اسمها ، أن يخبو البريق ويخفت الصوت ويصبح كل شيء ذكرى قد يطويها هي الاخرى النسيان ٠٠ وهنا تحمد بطولة الادب والفن انها تعمر طويلا في حياة صاحبها وبعد الحياة لا بل قد تمتد أجيالا وقرونا طويلة ٠ وهي غير مرهونة بسمات خارجية من شباب أو جمال كلاعب الكرة أو الممثلة ٠ انها تستمد بقاءها ورواءها من نضرة الروح لا الجسم٠٠ ومن هنا كانت أبقى وأدوم واعمق وأصل وأقوى من الايام ٠

ولكن متذوق الادب والفن أو جمهور الادب والفن لا بد له من ثقافة خاصة تصله به وتدنيه منه حين تجد رياضة كرة القدم مجال اهتمام واسع يجمع عليها الكبار والصغار النساء والرجال من كل الاعمار ٠٠ من كل المستويات ٠

بقي ان نطل على طريق الملعب انه شريط طويل يسيل بالناس وتصب فيه الطرق الجانبية المفضية اليه أفواجا منهم وقد تعددت مظاهر حيلهم الى الوصول ٠ ومن المناظر الغريبة التي تقع عليها العين في طريق بعض الملاعب ٠٠ الحمار ذلك الحيوان المسكين الذي يسهم دائما في المباريات بجهد مشكور ٠٠ فان العربة المشدودة اليه ينصب فوقها لوح خشبي عريض كانه مسرح صغير ويتكدس عليه الرجال وقوفا متلاصقين في هيئات وأزياء مختلفة لا يوحد بينهم الا الرغبة في بلوغ الملعب في طرفة عين ولكن يبدو انهم افتقدوا سرب القطا في هذا اليوم فلم يجدوا من يعبر غير ذلك المسكين المطواع ٠

والاتوبيس يسير في طريق الملعب مثقلا بالناس حتى ليميل بهم الى حد تخشى عليه وعليهم السقوط ٠

وعند الملعب رأيت احد أولاد البلد ينزل من ( تاكسي ) في جلبابه الابيض الفضفاض وطاقيته البيضاء وينقد السيارة حسابها ثم يشتري تذكرة من فئة احدى عشر قرشا ٠٠ يخيل الى انه تحامل على قوت يومه أو أسبوعه حتى يدبر هذا المبلغ ٠٠ وكانت ظاهرة فرحت بها ٠٠ الى هذا الحد يتعشق قومنا الرياضة ويلبون دواعيها ٠٠٠ ان رياضة كرة القدم كما قلت محل اهتمام شامل يسترعي العين ويشوق الحديث ٠

دكتورة
نعمات احمد فؤاد

# من صور الدهاء والحيلة

بقلم : محمد عبد الغنى حسن

فى تاريخ العرب والمسلمين دهاة كثيرون . والتاريخ ينبئنا بذلك فى تاريخ الامم قديمها وحديثها . فلم يخل تاريخ من دهاة ، حتى العجم ، فقد ذكروا ان كسرى انو شروان كان على عدله من ادهى دهاة الفرس . وليس الدهاء عيبا الا اذا جر صاحبه الى اوضع المطالب ، فاذا كان لمكيدة فى الحرب ، او لخديعة فى السلم ، أو بغية الانتصار على عدو ، او لغرض التخلص من مأزق فهو مطلوب محبوب . ولأمر ما جاء فى امثال العرب ان الكريم يحتال .. فليس فى الحيلة والدهاء لوم ولا خسة الا اذا جافت خلقا ، أو جانبت مبدأ شريفا ، والا فهى مزية تحسب للرجل ولا تحسب عليه ، وقد عد النسابة المؤرخ ابن حبيب فى كتابه « المحبر » المطبوع فى الهند بضعة من دهاة العرب ، هم معاوية بن أبى سفيان ، وزياد بن أبيه ، وعمرو ابن العاص ، وقيس بن سعد بن عبادة الانصارى ، والمغيرة بن شعبة الثقفى ، وعبد الله بن بديل بن ورقاء .

***

ولم يرو ابن حبيب نوادر عن هؤلاء الدهاة ، ولكنه اكتفى بذكر اسمائهم ، ولن يعوز الباحث عن هذه النوادر شىء فى كتب المحاضرات والاسمار والاخبار واللطائف مثل كتب المحاسن والمساوىء للبيهقى ، والمحاسن والاضداد للجاحظ ، ولكن خير ما تكون هذه الاخبار اذا وقعت فى كتاب من كتب التاريخ كالطبرى والمسعودى والمقريزى والبداية والنهاية لابن كثير والنجوم الزاهرة واشباهها ، فهنا تخرج الحكاية عن نطاق النادرة الادبية ، الى ميدان الحادثة التاريخية ، وتكون واقعة زمانية بدلا من أن تكون حكاية قصصية ، ويكون لها واقعها التاريخى الحى الذى يصورها واضحة المعالم ، متكاملة الاشخاص ، مترابطة الاحداث .

**وقد تكون الحيلة حادثة شخصية للخلاص من موقف حرج ، او الانفلات من القتل او الاسر او التعذيب مثلا ، وهنا لا يتعدى أثر الحيلة نطاق صاحبها ، ولا يتجاوزه الى المدى الفسيح ، كانقاذ جيش برمته وعدته ، او تنفيذ خطة مدبرة يحتال لها المحتال على من هو أعلى منه منصبا ، او تحويل سياسة دولة ونظام حكمها مثلا كما سنذكره من حيلة المغيرة بن شعبة مع معاوية بن ابى سفيان ليضمن لنفسه العمل وعدم العزل بعد ان كبرت سنه فاحتال ليجعل نظام الخلافة الاموية مبايعة موروثة من الخليفة القائم الى من يعينه من ولده ، وتمت بذلك البيعة ليزيد بن معاوية على عهد أبيه وفى أثناء خلافته .**

فقد روى الشعبى ان المغيرة بن شعبة لما خاف العزل من العمل فى خلافة معاوية كتب اليه بان سنه قد كبرت ، وعظمه قد رق ، واجله قد اقترب ، وان سفهاء قريش سفهوه ، وان امير المؤمنين — يعنى معاوية — اولى بعمله .. فرد عليه معاوية الكتاب قائلا : اما ما ذكرت من كبر سنك فانت اكلت عمرك! واما اقتراب اجلك فلو استطيع دفع الموت عن احد دفعته عن نفسى وعن آل ابى سفيان !! واما ما ذكرت من سفهاء قريش فحلموهم انزلتك هذه المنزلة ، واما العمل فاصبر رويدا! « يدرك الهيجا حمل » ، ولم يعجب هذا الرد المغيرة فاستاذن معاوية فى القدوم عليه ، فاذن له فوافاه ، فابتدره معاوية قائلا . يا مغيرة ! كبرت سنك ، واقترب اجلك ، ولم يبق منك شىء وساستبدل بك ! فانصرف! فرأى اصحاب المغيرة فى وجهه كآبة فسألوه عن الخبر ، فقص عليهم موقفه وموقف الخليفة الاموى منه ، فقالوا له : والآن ماذا تريد ان تصنع ! قال : ستعلمون . ولم ييأس المغيرة لصد معاوية الباب دون قضاء حاجته ، بل دبر لقاء آخر وأتى الخليفة فدخل عليه وقال له : يا امير المؤمنين ! ان الانسان يغدو ويروح ، ولست فى زمن ابى بكر ولا عمر ! فلو انك نصبت ( أى عينت ) لنا انسانا نصير اليه بعدك كان الرأى .. على انى قد كنت دعوت أهل العراق الى يزيد .. ولقد اثار المغيرة بهذا شيئا فى نفس معاوية ورغبة كانت فى صدره ، فقال له : يا أبا محمد انصرف الى عملك ! واحكم هذا الامر — اى الدعوة الى يزيد — لابن أخيك ؟ وهكذا كانت هذه الحيلة من المغيرة بن شعبة فى ضمان استمرار العمل لنفسه هى الباعث الذى حمل معاوية على اخذ البيعة ليزيد ، فاستن بذلك سنة وراثة الملك فى تاريخ العرب والاسلام ..

**وليست الحيلة خاصة بجنس دون جنس، ولا بالرجل دون النساء ، وقد تكون في النساء حيل ومكايد مما يحسن صنعه ، ولا يعز عليهن أمره . والى هذا أشار القرآن الكريم بقوله في سورة يوسف « انه من كيدكن ، ان كيدكن عظيم »**

***

ولقد قرأت في كتاب « المحبر » وفي فصل الكلام عن أزواج النبي عليه السلام حيلة لطيفة لنساء النبي حين تزوج السيدة أسماء بنت النعمان بن الاسود بن الحارث ، وكانت امرأة ذات جمال وشباب . فلما جعل صلى الله عليه وسلم يتزوج الغرائب ؛ قالت عائشة : قد وضع يديه في الغرائب! وانهن ليوشكن ان يصرفن وجهه عنا !! وكان النبي قد خطبها حين وفد عليه جماعة من كندة من عرب الجنوب ، ليتالف قلوبهم ، وليزيد بذلك قوة في الصهر ودعامة في النسب . فلما رآها نساؤه وشاهدن جمالها وشبابها داخل قلوبهن الحسد من ناحيتها ، ودبرن حيلة او مكيدة يوغرن بها صدر النبي عليها ، فقلن لها : ياأسماء ! ان اردت الحظوة عند رسول الله فتعوذي بالله منه اذا دخل عليك! وكان في « أسماء » طيبة وثقة وتصديق وحسن نية، ففعلت ذلك حين دخل النبي عليها لاول لقاء . . . فصرف النبي وجهه عنها وقال : امن عائذ الله . الحقي باهلك ! وخرج والغضب يرى في وجهه . .

وكان ما كان بعد ذلك من ان النبي عليه السلام خلف على اسماء بنت النعمان المهاجر بن ابي امية المخزومي والي اليمن للرسول ، ثم خلف بعده عليها قيس بن مكشوح المرادي . وكانت اسماء هذه آخر زوجات النبي عليه السلام .

***

واشتهر عمرو بن العاص بالدهاء والحيلة ، وتروى له في كتب التاريخ والسير طائفة من حيله. وقد كان فيه طموح كثير ؛ حتى لقد كانت نفسه تنزع الى الخلافة ، ولولا ان معاوية كان أوسع منه حيلة ، واكثر دهاء ، واسمح نفسا ، وارحب صدرا لظفر ابن العاص بالخلافة . ولسنا نقول هذا الكلام من غير دليل ، فقد ذكر المؤرخ ابن كثير في كتابه « البداية والنهاية » حادثة كان عمرو بن العاص يتربص فيها بمعاوية حتى يقتل فينصب نفسه من بعده . فقد رووا ان عليا كرم الله وجهه بارز في ايام صفين وقتل كثيرا ، فلما قتل كريب بن الصباح اربعة من اهل العراق ووضعهم تحت قدميه ، نادى : هل من مبارز ؟ فبرز اليه علي ، فتجاولا ساعة ثم ضربه علي فقتله ، ثم نادى علي : هل من مبارز فبرز اليه الحارث بن وداعة فقتله ، ثم خرج اليه اثنان آخران فقتلهما ، ثم تلا قوله تعالى : « والحرمات قصاص » ثم نادى : ويحك يامعاوية! ابرز الي ولا تفني العرب بيني وبينك ! فقال له عمرو بن العاص : اغتنمه فانه قد أثخن بقتل هؤلاء الاربعة ! فما كان أسرع معاوية في الرد عليه قائلا : يا عمرو ! والله لقد علمت ان عليا لم يقهر قط ؛ وانما اردت قتلي لتصيب الخلافة من بعدي! اذهب اليك عني ! فليس مثلي يخدع !!

***

ولقد ظفر الامام علي يوما بعمرو بن العاص في مبارزة وكاد يقتله فيها ، لولا أن سوأة عمرو قد انكشفت ـ ويقال أن عمرا كشفها متعمدا حتى يصرف وجه الامام علي عنه فلا يصيب منه مقتلا ـ فرجع الامام علي عن عمرو ، فقال له اصحابه ما لك يا امير المؤمنين رجعت عنه ؟ فقال : اتدرون ما هو ؟ قالوا : لا . قال : هذا عمرو بن العاص، تلقاني بسوأته ؛ فذكرني بالرحم ! فرجعت عنه ، وقد حفظها له معاوية ، فلما رجع عمرو اليه قال له على سبيل التهنئة الساخرة : احمد الله واحمد استك !!

***

والذين يؤكدون أن كشف عورة عمرو للامام علي كان مقصودا لصرف الامام عن قتله حيلة منه يسندون هذا الكلام بما قاله شاعر في هذه الحادثة:

ولست أصد السوء عني بعورة
كما صدها يوما بعورته عمرو

ولا تقل شهرة عمرو بن العاص في هذه الخديعة الماكرة عن خديعته للرجل الطيب ابي موسى الاشعري زميله في الحكومة والتحكيم بين علي ومعاوية ، فقد اتفقا على كتابة التحكيم وختماه بخاتميهما ، واتفقا فيه على خلع علي ومعاوية وتولية عبد الله بن عمر، ثم جاء دور التنفيذ العملي للخطة المكتوبة فبدأ عمرو الكلام مع ابي موسى قائلا : اما اذا رأيت الصلاح في هذا الامر والخير للمسلمين فقم فاخطب الناس ، واخلع صاحبينا ، وتكلم باسم هذا الرجل الذي تستخلف ، فقال أبو موسى : بل انت قم

فاخطب فانت احق بذلك ! قال عمرو : ما احب ان اقدمك ! وما قولى وقولك للناس الا قول واحد .. فقم راشدا ! فقام ابو موسى الحكم الطيب ، وخلع صاحبه « عليا » ( كما يخلع عمامته ) ، ثم قام عمرو الداهية فقال : ايها الناس : ان اباموسى قد خلع عليا واخرجه من هذا الامر الذى يطلب ، وهو أعلم به ! الا وانى خلعت عليا معه ، واثبت معاوية على وعليكم ! وانتهى الامر بعد هذه الحيلة والخديعة الغادرة بما كان من احداث الصراع الدامى بين على ومعاوية .

***

وعلى حين كان معاوية بن ابى سفيان يخشى حيل عمرو بن العاص ومكايده فيما يمس سلطانه او يؤثر فى انتقال الخلافة منه اليه ، فانه كان دائما يدعوه فى الموقف الحرج — وخاصة فى الخصومة بين على ومعاوية — ليبتدر من الحيل والخدائع ما يضعف جيش الخصم او يفسد عليه خططه وتدبيره ، وكان يندبه دائما للدهاء والراى حين لا تنفع الشجاعة والمصابرة فى اللقاء . ففى ايام اللقاء الحامى بين الامام على ومعاوية راى على ان انصار معاوية وخاصة من الفساسنة لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن يزيل الهام عن اماكنها ، وضرب تسقط منه المعاصم والاكف ، فاقدم هو ورجاله ، واستعملت السيوف وخاصة فى ليلة « الهرير » ، وتقصفت الرماح ، وتصادم القوم ، وكان الفارس يعتنق الفارس من خصومه ويقعان جميعا الى الارض عن فرسيهما . وكان على ميمنة جيش الامام على الاشتر النخعى وكادت المعركة تنتهى الى انتصار رجال على انتصارا ساحقا . وهنا لجأ معاوية ابن أبى سفيان الى عمرو بن العاص يطلب منه حيلته فى هذا المازق حتى يخلص جيش الشام وجيش معاوية من فتكات جيش الامام على . واراد معاوية ان يغرى ابن العاص ان هو آتى من المكيدة ما يسعف الموقف ، فقال له : هلم مخباتك يا ابن العاص ؟ فقد هلكنا ! وتذكر ولاية مصر ! وهو بهذا يرشوه بالوعد بالتولية على مصر ان اسعفه حيلة . وهنا لم تخطىء المكيدة عمرا الداهية ، فنادى فى جيش معاوية : ايها الناس ! من كان معه مصحف فليرفعه على رمحه . فكثر بين رجال الجيش رفع المصاحف ، وارتفعت ضجة القوم منادين : كتاب الله بيننا وبينكم ، من لثغور الشام بعد اهل الشام ؟ ومن لثغور العراق بعد اهل العراق ؟ ومن لجهاد الروم ؟ ومن للترك ؟ ومن للكفار ؟ وقد بلغ عدد المصاحف التى ارتفعت فى جيش معاوية اكثر من خمسمائة مصحف ، وهو عدد ليس باليسير ولا الهين .

***

فلما راى رجال الامام على من جيش العراق هذه الظاهرة من جيش الشام مالوا الى المهادنة، واحبوا الموادعة ، وارتضوا بالتحكيم . حتى قال بعضهم للامام على بن ابى طالب : قد اعطاك معاوية الحق، دعاك الى كتاب الله ! فاقبل منه . وكان الاشعث بن قيس — من رجال على — من اشد المتحمسين للمهادنة ، الداعين الى التحكيم ، حتى لقد وجه الخطاب الى الامام على قائلا : انا لك اليوم على ماكنا عليه امس ، وليس تدرى مايكون غدا ، وقد والله فل الحديد ، وكلت البصائر . وتابعه غيره فى هذه النغمة التى لم يكن يتوقعها الامام لانه كان على يقين بان هذه خدعة من خدع معاوية او من خدع مستشاره عمرو بن العاص . وصارح على قومه بقوله : ويحكم ! ما رفعوها لكم الا خديعة ، ودهاء، ومكيدة. فلم يقبل منه المعارضون هذا الكلام وقالوا له : لا يسعنا ان ندعى الى كتاب الله فنابى ان نقبله . وكان بعد ذلك ما كان من الاحداث التى كان لا بد ان تفضى اليها تلك المكيدة من قبول التحكيم، وخلع ابى موسى الاشعرى للامام على ومعاوية معا، وتثبيت عمرو بن العاص لمعاوية ..

***

**ومن حيل ابن العاص التى اعقبت خيرا على العرب والمسلمين ، واكسبتهم فتحا مبينا ، تلك الحيلة التى اصطنعها حين سيره الخليفة عمر بن الخطاب لفتح مصر . فقد كان عمر بن الخطاب كتب اليه — وهو بالشام — يامره بالسير الى مصر من الشام ، وقد دخل عثمان بن عفان على الخليفة عمر بن الخطاب فحكى له عمر قصة هذا الكتاب ، فابدى عثمان خوفه ، لان ابن العاص مجرأ وفيه اقدام وحب للامارة ، وقد يدفعه هذا الى ان يخرج الى مصر فى غير عدة ولا ثقة ولا جماعة ، فيعرض المسلمين للهلكة رجاء فرصة لا يدرى تكون ام لا . ويقال ان ابن الخطاب ندم على كتابه لابن العاص، وكتب اليه كتابا آخر يقول فيه : ان ادركك كتابى**

**قبل ان تدخل مصر فارجع الى موضعك ، وان كنت دخلت مصر فامض لوجهك ..**

ويقول مؤرخو الفتح الاسلامى لمصر ان الكتاب ادرك عمر بن العاص وهو برفح ، فتخوف ان هو اخذ الكتاب وفتحه ان يجد فيه امرا بالانصراف عن الفتح ، فلم يأخذ الكتاب من رسول الخليفة عمر وصار يدافعه ويماطله ويسير حتى نزل قرية فيما بين رفح والعريش ، فسأل عنها فقيل له انها من ارض مصر ! فدعا بالرسول والكتاب وفتحه وقرأه على المسلمين ، ثم وجه الكلام الى من معه من رجال الفتح قائلا : الستم تعلمون أن هذه القرية من مصر ؟ قالوا : بلى ! قال : فان امير المؤمنين عهد الى ، وامرنى ان لحقنى كتابه ، ولم ادخل مصر ان ارجع ، ولم يلحقنى كتابه الا ونحن الآن بارض مصر ، فسيروا وامضوا على بركة الله وعونه !

***

ولا تكشف هذه الحيلة البارعة عن دهاء ابن العاص فحسب ، ولكنها تكشف عن ذكائه اللماح وفطنته ، فانه رأى بعين البصير الداهية أن كتاب الخليفة لا بد ان يحمل امر الانصراف عن هذه الوجهة المهلكة من الفتح ، فدبر هذه الحيلة ليصل الى غرضه من المضى بالحملة الى آخر اهدافها ..

ومن طرائف الحيل التى خلصت صاحبها من سخط قد يفضى الى الهلاك ، تلك الحيلة التى لجأ اليها خالد بن صفوان لينجو من غضب زوجة الخليفة العباسى ابى العباس السفاح ، وقد كان فى غضبها هلاكه . فقد كانت ام سلمة زوجة السفاح اثيرة عنده ، حظية لديه ، وقد غلبه حبها وغلبت هى عليه غلبة شديدة حتى كان لا يقطع امرا الا بمشورتها . وصرفته عن النساء ، فما دنا الى غيرها لا الى حرة ، ولا امة ... واراد خالد بن صفوان ان يصرفه عنها فقال له : يا امير المؤمنين! انى فكرت فى امرك وسعة ملكك ! وقد ملكت نفسك امراة واحدة .. وحرمت نفسك التلذذ باستطراف الجوارى والتمتع بما تشتهى منهن .. واخذ يغريه بالطويلة الغيداء ، والبضة البيضاء ، والرقيقة السمراء ، التى تفتن محادثتها ، وتلذ خلوتها .. واخذت الافكار تراود خاطر الخليفة .. ودخل على زوجه ام سلمة . فلما رأته مفكرا مهموما استدرجته بالسؤال والجواب حتى صرح لها بما قال خالد .. فاسرتها فى نفسها ، وحرضت جماعة من «البلطجية» للاعتداء عليه والتخلص منه .. لولا أنه هرب منهم ومكث فى بيته اياما لا يخرج ! فلما طلبه الخليفة لامر ، والح عليه فى الطلب ، خرج للقاء الخليفة وهو موقن بالموت ! ودخل على السفاح فأومأ له بالجلوس ، ثم نظر فاذا خلف ظهره باب عليه ستور قد ارخيت ووراءها حركة ! فأيقن ان هناك فى هذا المخبأ ام سلمة تحصى عليه كلامه ؟ فساله الخليفة : يا خالد ! لم أرك منذ ثلاث ليال ! قال : كنت عليلا يا امير المؤمنين ! قال : ويحك ! انك وصفت لى فى آخر دخلة من امر النساء والجوارى ما لم يخرق مسامعى قط كلام احسن منه ، فأعده الآن على مسمعى ! فقال : نعم يا امير المؤمنين ! اعلمتك ان العرب اشتقت اسم الضرة من الضر ! وان احدهم ما تزوج من النساء اكثر من واحدة الا كان فى جهد!!

***

**وبهذه الحيلة تخلص خالد بن صفوان من الاذى الذى كان يتعرض له لو انه اعاد على مسامع الخليفة ما كان اغراه به من حيث التمتع بالجوارى وترك الاقتصار على زوجة واحدة ...**

**وهكذا نجد فى الحيل والخدائع بعض الخير الى جانب ما فيها من شر كثير ...**

**محمد عبد الغنى حسن**

# غزو القمر

بقلم : عبد المنعم أبو السعود

لقد مر غزو القمر والرحلة اليه باطوار ثلاثة :

كان حلما ومجرد خيال عبر عنه الاجداد بأساطيرهم التى ملأت أسماع الاطفال . والنوع البشرى يتميز عن سائر المخلوقات بطول مدة حضانة الوالدين لاطفالهما وطول هذه المدة هو السبب المباشر فى ارتقاء الانسان وحفظ تراثه . فيما يتناقله الأبنـــاء عن آبائهم من آراء وما يرثونه من تقدم هو أساس انتاجهم والقاعدة التى يضيفون عليها الجديد من التحسين والاختراع . ونظرة فاحصة الى الطيـور والحيوانات تكشف عن الفارق بين حياتها وحياة الانسان . لقد بقيت حيث كانت منذ بدء خلقتها فى حين تطورت حياة الانسان من زميل يشاركها حياة الغابة يأكل من الشـجر ويسكن الكهوف ويستتر بالاوراق الى ذلك المخلوق الذى نراه الآن . وعرف كيف يسخر كل القوى من حوله لخدمته ، وحتى زملاء بداية حياته ـ الحيوان والطير ـ أصبحت تخضع لسلطانه . ورغم كل هذا التقدم بقى يردد ما حكاه له آباؤه عن القمر .

***

وبمرور الزمن تكونت لديه حصـــيلة من العلوم وحقق قوانينها وعرف منها خصائص ما يحيط به من ظواهر الطبيعة فحكمها بعلوم الفلك والطبيعة والكيمياء والهندسة ثم تعرف أيضا الى ما كشف من معـــادن وتحكم فى تشكيلها وافاد من ذلك . وأخيرا تقــدم علمه عن نفسه فاظهر الطب ضعف النفس وكيفية علاجه واتقاء ما تتعرض اليه . وكان من نتيجة ما تجمع لديه من هذه العلوم ان فكر فى قهر الفضاء .. وغزو القمر . وبدات الخرافة تتحول الى حقيقة عقب أن قام جاجارين السوفيتي بأول رحلة دار فيها حول الارض . وانقضى بذلك الطور الثانى من رحلة الفضاء بعد أن تغلب الانسان على الفضاء وقهره .

ونحن الآن نعيش فى الطور الثالث من هذه الرحلة بعد أن كرر السوفيت والامريكيون رحلات الفضـاء حول الارض وثبت أن الانسان يمكنه أن يعيش فى منطقة الشعور بانعدام الجاذبية وان يحاط بالضمانات التى تكفل له الجو الذى يوفر له مقومات الحياة كما اعتاد على الارض من حيث هواء التنفس ودرجــة الحرارة التى تحتملها والضغط المنـاسب وبعد أن اظهرت التجارب المتعددة أن هذه الاحتياطات قد كفلت له حفظ الحيـاة ومكنت جسمه وأعضـاءه من القيام بوظائفها الفسيولوجية كما اعتادت .

وكما طال بالانسان الطور الاول الذى بقى منـذ بدأت خلقته حتى عام ١٩٦١ سيطول أيضـا الطور الثالث عن الطور الثانى الذى لم يستغرق الا ثلاث سنوات فقط . ذلك لان الرحلة الى الكواكب تتطلب منا الآتى :

١ ـ التوصل الى صاروخ ذى قدرة معينـــة مع توفير الوقود اللازم له .

٢ ـ مركبة من نوع خاص .

٣ ـ الالمام بخواص الفضاء الذى تسير فيه المركبة وكذلك خصائص سطح الكوكب الذى يختار للهبوط عليه .

٤ ـ تدريب خاص للملاحين الذين يقومون بأول رحلة من هذا النوع .

١ ـ الصاروخ والوقود .

اما عن الصاروخ فقد تقدم البحث بالانسان فى هذا المضمار وعرف الصاروخ المتعدد المراحل الذى يمكنه أن يجتاز منطقة تاثير جاذبية الارض واثبتت تجاربه أن الصاروخ الذى يسير بسرعة تقل عن ٨ كيلومتر فى الساعة ما هو الا قذيفة ومصيره بعـد ارتفاعه فى الجو أن يسقط على سطح الارض ثانية . وان الذى يسير بسرعة ما بين ٨ كيلو و ١١ر٢ كيلو هو قمر يدور فى مدار حول الارض ويرتبط بهـا بفعل القوة الطاردة المركزية والتصدر الذاتى وأن الصاروخ الذى يسير بسرعة تزيد عن ذلك يكون طليقا من تاثير الارض ويسير فى الفضـاء نحو اى كوكب يوجه اليه .

أما كيف يحصل على هـذه القدرة العالية فالسر عند الوقود . أن الزيت الذى كشفه الانسان واستغله فى الاضاءة وانتاج القوة فى كافة صـوره لم يكن كافيا ليعطى هذه المقدرة العالية ومن ثم اتجه تفكيره نحو استنباط نوع آخر يحقق هذه القدرة وانطلق يبحث فى حصيلة علومه وكان الوقود الكيميائى . فمن تفاعل بعض المواد حصل على الحرارة التى حولها الى طاقة حققت له انتاج القدرات التى يحتاجها .

على أن الرحلة الى الكواكب تستغرق وقتا طويلا ولا زال الانسان في بداية الشوط في صناعة المركبة ويحتم وضعه أن يخضع لما وصل اليه انتاج المركبات من حيث اتساعها وكذلك قدرة الصاروخ على الحمل المحدودة بثقل معين . وحتى يتغلب على احتياجه للوقود لاتمام الرحلة بدأ يفكر في الاستعانة بالمفاعل الذري والمفاعل الكهربي لامكان الاستعانة بأيهما يتفوق ليكون هناك منبع دائم في المركبة يمدها بالطاقة اللازمة . خصوصا ونحن نعلم حقيقتين : أولاهما ـ انه لا توجد في الفضاء محطات للتموين . وثانيهما ـ أن الهبوط على سطح الكوكب معناه حدوث صعود ثان منه . والانطلاق الى الفضاء يحتاج لقدرة عالية الأمر الذى يستهلك وقودا كثيرا . وحتى أقرب الى ذهن القارىء كميته أذكره بأن ٨٥٪ من الوزن الكلي للصاروخ هو وزن وقوده . ولا زالت التجارب تسير للمفاضلة بين أنواع الوقود المختلفة لاختيار أنسبها .

٢ ـ المركبة :

اما المركبة فقد نجح الانسان في انتاج مركبة تتحمل الضغط ودرجة الحرارة العالية التي تصل الى حوالى ٣٠٠٠° درجة مئوية ولكن المركبة لا زالت من حيث الحجم تحتاج الى تعديل لتحمل اكثر من شخص . ونحن أمام حقيقتين الآن : الاولى المركبة السوفيتية التى تزن ٥ر٤ طن والثانية الامريكية التى تزن ٥ر١ طن . أما الاولى فلا شك انها تتسع لآلات كثيرة وتزيد حمولتها عن الثانية ولكنها خصصت لفرد واحد أيضا . وأما الثانية فالامريكيون يقولون عنها انها خاصة بمشروع ميركيورى وانه سيعقبه مشروعا جيمني وأبولو ، والمشروع الاول ستجرى تجاربه بمركبة تحمل شخصين والثانى مخصص للرحلة الى القمر وستبنى مركبته لتسع ثلاثة أشخاص وتأسيسا على هذا فان المركبة في طريقها الى الاتساع

***

وطبيعي ان يتم انشاء المركبات الاكثر سعة بعد أن يتحقق لنا انتاج الصواريخ القوية التي يمكنها حملها . والاتجاه السوفيتي والامريكى نحو انتاج مركبات أكبر معناه أنهم أنتجوا صواريخ أكبر .

والوسط الذى تسير فيه المركبة الآن وسط مدروس ومعروفة خواصه . لكن في الرحلات الى الكواكب هناك احتمالات كثيرة غير ملائمة للمركبة، فهناك احزمة من أشعة ضارة كحزام فان الن ستخترقه المركبة وهذه الاحزمة ما هي الا أمكنة لتجمع الاشعة الضارة وبكميات هائلة . وعلى هذا فسيكون لها أثر على المركبة وبذا يستدعى الأمر الحيطة من مثل هذه الاشعة . والحيطة تتطلب الكشف عن خواصها ومعرفة تأثيرها على السبائك المعدنية التى تغلف بها المركبة .

وبجوار هذه الاحزمة هناك أيضا الشهب والنيازك التي قد تصطدم بالمركبات فتسبب تلفها . ولكى نحتاط لهذا أيضا يجب أن تجرى الابحاث المتعددة على طبيعة هذه الشهب ومعرفة حجومها ودراسة أثر اصطدامها في الجو المطلق الخالى من الجاذبية .

***

ويجيء بعد ذلك الفضاء نفسه ودرجة حرارته ثم الضغط الذى فيه والالكترونات والشحن الكهربية التى يحتويها . كل هذه الموضوعات تحتاج لاستجلاء لكى نطمئن على المركبة ونجاح الرحلة . ومن هنا يستشف القارىء الكريم مدى مساندة العلم لغزو الفضاء .

٣ ـ الالمام بخواص الفضاء وسطح الكوكب :

لقد أشرت في بحث المركبة الى ما يعترضها من ظروف غير ملائمة تستدعى استجلاء خصائص الفضاء. ويتم ذلك عن طريق ارسال أقمار صناعية للكشف والرصد . ولقد قدمت الموجات اللاسلكية خدمة لولاها لظل الانسان حبيسا على الارض وعن طريقها يتم ارسال الصور المختلفة التلفزيونية عن الفضاء وما يحويه بعد أن تصوره الاقمار الخالية من الانسان وعن طريقه يتم استلام الارسال اللاسلكى للصوت الذى تنتجه بعض آلات الرصد . وحصيلة ما يتجمع لدينا من صور وأصوات تقوم بتحليلها ومنها نكشف عن خصائص الفضاء فنتفادى الضار منها ونحتاط لها .

***

ولا يمكن أن تهبط على سطح كوكب ما طالما نجهل تركيبه وطبيعة سطحه ، وهل هو رمل أم حشى أم

صخرى ، منبسط أو تعلوه المرتفعات والجبال فكل حالة من هذه الحالات تحتاج لتخطيط مختلف في التصميم لتتمكن المركبة من الهبوط على سطحه بسلام والانطلاق من فوقه كذلك عند العودة ٠

وليس أمر استجلاء طبيعة سطح الكوكب لازما من أجل المركبة وحدها بل هو أيضا الزم من أجل الانسان ٠ فليس للرحلة قيمة ما لم يتمكن الملاح من الانطلاق على سطحه وحمل عينات من أرضه ليمكن لرحلات تالية وليقوم العلماء على أرضنا بتحليل هذه العينات للكشف عما تحويه من معادن يفيد منها الانسان ٠ وبجوار ذلك فان الكوكب يجب الكشف عنه لمعرفة مدى صلاحيته لحياة الانسان ٠ فالحياة لا تستقيم له ما لم يتوفر له الهواء بنسبه على الارض ليتنفسه وكذا درجة الحرارة والضغط فى حدود ما يحتمل ٠ ومعرفة هذه المقومات الثلاثة واستجلاء قدرها يمكننا من التغلب على ظروفها غير الملائمة ٠

أما كيف يمكن الكشف عن كل هذا فأمره أصبح معروفا ٠ فالاقمار الصناعية هي الوسيلة فى استجلاء كل هذا ٠ وقد حاول الامريكيون من قريب تصوير سطح القمر بارسال القمر الصناعى رينجر السادس الى سطح القمر ليصوره ولكنه ارتطم بسطحه دون أن يسجل أو يرسل أى بيانات عنه ٠ وبهذا تكون التجربة قد فشلت ٠ لكن ليس معنى هذا أننا فقدنا الأمل فى الكشف عن سطح القمر وجوه ٠٠ فقد أعلن الامريكيون انهم انتجوا ثلاثة اقمار من نفس الطراز واعدوها لهذا الغرض فان فشل أولها فسيكون ذلك حافزا لان تتولى الهيئات المشرفة اصلاح الاخطاء والاحتياط حتى لا تتكرر وبذا تنجح فى الوصول الى الغرض المنشود منها ٠ وبعد أن تقوم الاقمار بنقل الصور الينا يتوافر العلماء على دراستها وعلى ضوء البيانات التى يصلون اليها يتم تصميم مركبة المستقبل التى تخصص للوصول الى الكوكب الذى يكشف سطحه وجوه ٠

❊❊❊

٤ ـ تدريب واعداد الملاحين ووقايتهم ٠

واذا كنا قد أعددنا الصاروخ والمركبة للقيام بالرحلة وبعد أن نكون قد عرفنا خواص سطح الكوكب وجوه فاننا لا بد ان يكون لدينا الملاح الذى يمكنه أن يقوم بالرحلة ٠ ان هذه الرحلة تتطلب كفاية خاصة وتستدعى تدريبات أخرى كثيرة فلدينا جو مختلف فى الكواكب فيه درجة حرارة مرتفعة وفيه ضغوط مرتفعة ولدينا أيضا منطقة الشعور بانعدام الجاذبية وكل هذه تختلف عما اعتاده الانسان على الارض ولا بد أن يتلقى تدريبات تؤهله للمقاومة ومن ناحية أخرى فان زيادة مناعته محدودة ذلك لانه لا يمكن أن يقاوم درجة حرارة مرتفعة كتلك التى تمر فيها المركبة ولا أن يبقى فى منطقة معدومة الاكسجين وهذا يتطلب منا أن نحميه من كل ذلك صناعيا ٠ لذا كانت بدلة الفضاء مشكلة أخرى وفازت بعناية كبيرة فى تصميمها لتحقق للملاح التكييف اللازم لدرجة الحرارة والضغط ولتمده بالاكسجين اللازم للتنفس فى رحلته ٠

❊❊❊

وبعد أن يتكامل لدينا كل هذه الامور وتسفر التجارب التى يجب أن تتعدد عن صلاحية ما يعد لمواجهة الظروف الغير ملائمة التى يكشف عنها استجلاء غامض الجو وسطح الكوكب يمكن بعدئذ أن نلمح عن بعد امكان تحقيق الرحلة الى الكواكب ٠٠ ولست بحاجة ان أوضح للقارىء متى تتم ولا أن أحدد له المدة التى سيزيد بها الطور الثالث عن الثانى فلا شك أنه ليس من هذا العرض ما تم وما هو بسبيل التمام من أجل هذه الرحلة ٠ فان قال لنا السوفيت ان رحلتهم الى كوكب القمر ستكون ما بين عامى ١٩٦٥ ـ ١٩٦٧ فمبعث تقديرهم ما تجمع لديهم من معلومات عن الفضاء وعن سطح الكوكب وحين يقول لنا الامريكيون أن رحلتهم الى نفس الكوكب ستتم قبل نهاية عام ١٩٧٠ فهذا أيضا كشف عن مدى ما تجمع لديهم هم الآخرون ٠

وانتصار الانسان على الفضاء يخالف كل عصر سابق له فى الميادين الاخرى التى كان للصدفة فيها أثر ملحوظ فالعنصر فى غزو الفضاء يقوم على تقدم العلم وعلى ما نحصله وليس للصدفة أثر فيما نقوم به فى هذا المضمار ٠ هكذا ركب الله العقل فى الانسان ليقوده فى مثل هذا المضمار وليصل به الى تحقيق أحلامه وفق ما قدر له ٠٠ ترى متى نلتقى معك أيها القارىء على سطح القمر مثلا ٠٠ ؟!

**عبد المنعم أبو السعود**

# الحياة القبليّة في اليمن

بقلم : أمين بسيوني

اليمن كشعب مجموعة من الناس يسودهم النظام القبلي بكل ملامحه وتفاصيله لم يتطور على مر الزمن الا تطورات سطحية لاتنال الجوهر .

فالقبيلة اليمنية جماعة من الناس يرتبطون بنسب واحد ويسكنون منطقة كبيرة تنقسم الى قرى .. كل قرية يحكمها شيخ من مشايخ القبيلة وهؤلاء المشايخ لهم شيخ يسمى شيخ المشايخ هو رأس القبيلة كلها .

وهذه المنطقة التي تسكنها القبيلة كلها لها حدود تشبه حدود أي دولة أخرى . أي ان القبيلة بهذا المفهوم تعتبر دولة داخل الدولة .. وشيخ القبيلة هو المرجع الاخير الذي يحكم في كل خلافاتها ومنازعاتها ويقرر مصائر افرادها .

وتصور مثلا مايمكن أن يحدث لو ضلت ماشية طريقها ودخلت في مراعي قبيلة أخرى .. ان القبيلة تعتبر ذلك اعتداء على حدودها وانتهاكا لحرماتها .. انها الحرب لامحالة .

وهذا يقودنا الى أن نقارن بين النظام القبلي منذ الجاهلية وبين النظام القبلي الذي يسود اليمن اليوم والذي تحاول الثورة اليمنية أن تغير من شكله حتى يتناسب مع الحياة الجديدة التي تريدها اليمن لنفسها لكي تلحق بركب التطور .

***

كلنا نذكر ولا شك المنازعات التي كانت تحدث دائما بين القبائل في العصر الجاهلي ويحفظ لنا التراث العربي كثيرا من هذه الصور .

فالقيم التي كانت تحكم أي قبيلة هي فخرها بأن رجالها محاربون أشداء يذودون عن حياض القبيلة وعن عرضها المتمثل في نساء القبيلة وفخرها بأنها من أرفع قبائل العرب نسبا وأرومة .

وكانت الحرب تقوم لاتفه الاسباب ، ربما لبيت واحد من الشعر قاله شاعر في هجاء قبيلة من القبائل .

واذا أضفنا الى هذا أن هذه القبائل أو معظمها تعيش على الرعي وتلتمس لها مكانا قريبا من الآبار أو عيون الماء لاستطعنا أن نتصور كيف كان الاستقرار لايعرف طريقه الى قلوبهم وكيف كانوا يبيتون وسلاحهم في أيديهم يدفعون بأعنتهم غارة قبيلة أخرى ضاق بها الرزق فحملت سلاحها لتغير عليهم تنهب خيراتهم وتسبي نساءهم .

***

اذن فقد كانت القبيلة تعتبر نفسها في أحد وضعين اما ناهبة أ منهوبة ، اما غازية أو مغزوة ، اما عادية أو معتدى عليها ، ولا وسط بين ذلك .. لا استقرار ولا اطمئنان .. لانها لو تركت القبائل الاخرى وشأنها فلن تتركها القبائل الاخرى وشأنها .

هو صراع من أجل البقاء اذن .. من أجل صورة وأكثرها بدائية ، ولذلك كان من الطبيعي أن يكون كل رجال القبيلة محاربين أشداء يعدون للقتال منذ نعومة أظفارهم .. وأن تكون القبيلة كلها جيشا محاربا كبيرا مستعدا للدفاع عن القبيلة في أي يوم بل في أي ساعة ، وفي أي دقيقة .

لو نقلت هذه الصورة القديمة الى واقع اليمن اليوم فلن تجد تغييرا كبيرا الا في بعض التفاصيل أما الجوهر فقد بقي كما هو بفعل القرون الطويلة التي قضاها اليمن في معزل عن الحضارة وعن العالم بكل الاحداث التي كانت تغلي فيه وبكل الانتصارات التي حققتها الانسانية في شتى المجالات . ولولا تسرب جهاز الراديو الترانزستور لما تسرب الى اليمن شعاع من العالم الخارجي ولبقيت معزولة عزلة أبدية .

القبيلة اليمنية ظلت محافظة على شعورها بانها اما غازية أو مغزوة ، ولذلك فهي تعد أبناءها منذ سن العاشرة للضرب وللقتال .

ويحدد يوم معين يمتحن فيه أبناء القبيلة في هذه السن في الرمي .. فاذا فشل صبي في هذا الامتحان اقام أبوه مأتما وتقبل العزاء من كل القبيلة في هذا الولد الفاشل .. واذا تكرمت القبيلة وتسامحت معه منحته مهلة حتى سن الخامسة عشرة فاذا فشل

مرة أخرى كان مصيره الاحتقار والمهانة والعار الذى يكلم جبين أهله ·· فينزوى هذا الولد ولا يتطاول بشجاعة كما يتطاول الآخرون ويحرم من حضور حفلاتهم ومآدبهم ، بل ان أباه يفرق بينه وبين اخوته الآخرين فى المعاملة وفى الميراث ·

مجتمع القبيلة اذن مجتمع ينبذ الضعيف والخائر ولا يعترف الا بالمحارب الشديد المراس ·· بل ان مجتمع القبيلة لايعترف بالمرأة كعنصر ضعيف ·· بل يعتبرها محاربة ولكن لا تحمل السلاح ·· فهى تحارب فى ميدان الزراعة والرعى وتنشئة ابناء القبيلة المحاربين ·

كل ما طرأ على القبيلة اليمنية من تطور عما كانت عليه فى العصر الجاهلى هو انها لم تعد تكر وتفر فى أى وقت ·· بل عرفت بعضا من احساس الاستقرار واتخذت لنفسها مكانا تقيم فيه اعتبرته وطنها وأقامت حوله حدودا لا تقربها القبائل الاخرى·· فهناك قبائل تسكن فى شمال اليمن أو اليمن الأعلى وقبائل أخرى تسكن فى الجنوب أو اليمن الاسفل فى سهول تهامة ووديانها وقبائل تتناثر فى الشرق والغرب وحاولت كل قبيلة فى حدود وطنها هذا أن تكفى نفسها بنفسها تزرع كل ما تحتاج اليه من حبوب أو قات حتى لا تمد يدها الى القبائل الاخرى ·

***

من هنا كان عسيرا على هذه القبائل أن تشعر بمعنى كلمة وطن كما نفهم نحن اليوم ·· فالوطن بالنسبة لها هو هذه الرقعة الصغيرة أو الكبيرة التى يسكنها افرادها والتى يزرعون عليها ما ياكلون والتى يطلقون فيها ماشيتهم لترعى ·· أما ماعدا ذلك من مفهومات الوطن تجاه اليمن ككل فهذا هو ما لم يخطر لها على بال ·· ربما شعرت به بشكل دينى تجاه العاصمة التى كان يسكنها الامام الذى كانت تعتبره خليفة المسلمين وظل الله فى الارض ·· واذا دفعت اليه بعض أموالها فهى لا تدفعها كضريبة تفرضها الدولة وانما كزكاة واجبة لله ·· والامام كان ممثلا لله بينهم وكانت القبيلة تدفع هذه الزكاة عن طواعية لسبب واحد ·· هو انها تشعر أنها اذا لم تدفع الزكاة فسيصيبها الله فى أموالها وعيالها وستنزل بها المكاره والمصائب ·· أما اذا دفعت فسيبارك لها الله فى كل شىء ··

***

كان الامام ـ وهو ممثل السلطتين الدينية والدنيوية ـ يحكم اليمن عن طريق الدين والمؤامرات والارهاب ويعتمد عليها أكثر من اعتماده على جيشه الذى كان مؤلفا من خمسة آلاف مقاتل على الأكثر من بينهم حرسه الخاص ·· بل الغريب فى الأمر أن الامام كان له جيشان ·· جيش « نظامى » وهو الذى أشرنا اليه وجيش آخر « برانى » · وليست هذه التسمية من عندى بل انها كانت التسمية الرسمية لهذا الجيش ·· فهذا الجيش البرانى كان يجمعه الامام من رجال القبائل ·· فقد كان يبعث الى كل شيخ من مشايخ القبائل ويقول له : « انى أريد عددا من رجالك » ·

والامام ملزم باطعام هؤلاء الرجال وتسليحهم·· ولم يكن فى حاجة الى تدريبهم لأنهم مدربون فعلا منذ نعومة أظفارهم كما أشرنا فى العدد السابق ·

ما الفرق اذن بينهم وبين الجيش النظامى ؟ الفرق هو أن الجيش النظامى له رواتب محددة ووظائف ثابتة فى الدولة وله معاش ·· أما الجيش البرانى فكان الامام يستطيع تسريحه فى أى لحظة ··

رغم هذا فلم يكن الامام يعتمد فى حكم قبائل اليمن على هذين الجيشين بقدر اعتماده على تأثيره الدينى عليهم وعلى المؤامرات واثارة الخلافات بين القبائل · والأمثلة على هذا كثيرة :

١ ـ كان الامام يحيى والد الامام احمد يحرص على أن يشيع بين الناس كثيرا من الخرافات التى تحيطه بهالة من التقديس·· وسرعان ماتنتشر هذه الخرافة بين الناس سريان النار فى الهشيم ·

كان يشيع مثلا أنه يحج الى بيت الله فى أى وقت يشاء دون أن يراه أحد··وأنه متصل بالله بشكل ما ·· شكل يميزه عن البشر العاديين · وكان يشيع ايضا ان أى يمنى يقع فى أى مكروه كان يكون على شفا هاوية جبلية سحيقة ما عليه الا أن يصيح :

« وامتوكلاه » . وعلى الفور تمتـــد يد الامام يحيى لتنتشله وتمنعه من السقوط .

طبعا لم يجرب احد من اليمنيين أن يسقط وينادى هذا النداء .. وحين ينجو يعود الى قبيلته ليقول لها الخبر اليقين .. لم يفعل أحد ذلك وانما كان ينقل الخرافة من مكان الى آخر حتى رسمت للامام صورة أسطورية جعلته أشبه بالاولياء الصالحين والملائكة.. له بركات خارقة وكرامات تخر لها الجباه .

٢ ـ مثل آخر لكيفية استغلال الائمة للدين فى منع التطور وكبت كل صـــيحة من اجل الحرية او الحضارة .. حينما نادى بعض شباب اليمن المثقفين بأن اليمن فى حاجة الى حياة دستوريه بدلا من هذا الحكم الاستبدادى الأسود كان رد الامام يحيى على هذه الصيحة ان أشــــاع بين القبـــائل ان هؤلاء الدستوريين يريدون أن يحرموا القران .. يريدون ان ياخذوا ببعض الكتاب ويدعوا البعض الاخر .. وعلى هذا فقد حكم عليهم بأنهم كفار وصدقت القبائل حكم الامام على الدستوريين بالكفر لدرجة أن السباب الشائع بين القبائل فى ذلك الحين كان «يادستورى !» كأنها مرادفة للفظة كافر أو زنديق أو خارج على حكم الدين .

هذه أمثلة من كيفية استغلال الدين فى مقاومة التطور مما ساعد الامام يحيى على أن يحكم الحصار حول اليمن ويعزلها عن العـــالم الخارجى بحجة ان الاسلام الصحيح هو الموجود فى اليمن فحسب .. أما العالم الخارجى فكلهم كفرة وكلهم خارجون عن الدين الاســـلامى .. وكان بهذا يفتت أيضا احســـاس الشعب اليمنى بالعروبة لأنه يؤكد لهم أن العرب والمسلمين خارج اليمن قد تركوا دينهم وحرفوا فيه وأن الاسلام الصحيح موجود فقط فى اليمن وحدها .

وجاء الامام احمد بعده ليكمل الطريق ويضيف الى استغلال الدين استغلال المؤامرات والخلافات بين القبائل .

***

١ ـ استغل الامام احمد النظام القبلى فى اثارة دوامة من الخلافات الداخلية تلهى الشـــعب اليمنى عن التطلع نحو حياة أفضل وعن مطالبته بأى نوع من الاصلاح أو التقدم .

مثلا اذا ثارت عليه قبيلة من القبائل أو تمردت أوغر عليها صدر قبيلة أخرى وأباح لها أن تنتهك حرمات القبيلة الثائرة وتؤدبها والغريب أنه حدد لهذا التاديب نظاما غريبا .

ويتضح هذا من كيفية مقاومة الامام احمد لثورة قبيلة حاشد المعروفة بثـــورة بنى الأحمر .. ماذا حدث ؟ بعث الامام احمد ببعض من جنوده الى قبيلة الحاجور وقبيلة الحدا وقال الجنود لهــــاتين القبيلتين « أباح لكم أمير المؤمنين والنـــاصر لدين الله احمد حميد الدين غزو قبيلة حاشد لانها تمردت على أمر الله وعصت .. والامام يأذن لكم فى تاديبها وردها الى الطاعة . »

وتلقت القبيلتان الأمر كأنه واجب دينى مقدس وفى نفس الوقت ارضاء للامام فكأنهما بذلك تكسبان ثواب الدنيا والآخرة .. وانطلقت القبيلتان مع جند الامام الى قبيلة حاشد .. ودارت رحى الحرب حتى سلمت قبيلة حاشد ... ويتمادى الامام أحمد فى العقوبة فيامر مشـــايخ القبيلة المنهزمة بأن يطعموا أفراد القبيلة المنتصرة افخر طعام يوميا بأن يذبحوا لهم كل يوم عددا من الخراف وقبل الطعام يعطى شيخ القبيلة المنهزمة كل فرد من افراد القبيلة المنتصرة خمسة ريالات .. وبهذه الطريقة وقبل مضى وقت طويل أفلس معظم مشايخ قبيلة حاشد وهجروا من أرضهم الى السعودية والى عدن والى البلاد الاخرى المجاورة هربا من هذا الظلم الذى لم يسبق له نظير فى تاريخ الشعوب .

٢ ـ امعن الامام احمد فى اذلال القبائل وضمان ولائها بأن كان يشترط على كل قبيلة أن تبعث له ببعض . من خير أبنائها ( أبناء المشايخ بالذات ) لكى يحتفظ بهم كرهائن فى سجونه ضمانا لخضوع هذه القبائل لحكمه وعسفه وجوره .. ولا نفهم لماذا كان يحتفظ بهم فى سجونه بالذات ؟ لماذا لم يحتفظ بهم فى مكان يكرمون فيه .. الن يكونوا رهـــائن أيضا ؟ ولعـــل الاجابة على هذا السؤال تكمن فى اهدار الامام لكرامة المواطن اليمنى ونظراته اليه على أنه كائن لا يستحق الا السجن ... واى سجن ؟!! سجن الامام .. أبشع صـــورة للارهاب فى القرن العشرين ... وهذا يقودنا الى جوانب أخرى فى البحث .

**أمين بسيونى**



# رحلتى مع العقاد

**للشاعر عبده بدوى**

فى ربا قريتى عرفت الرتابه
والرغيف الذى يسوق بذورا
والعصافير وهى تغزر ارضى
والصباح الذى يطرز سترا
والنخيل المزهو : ترميه كف
والصداح الذى تلقيه غاسى
والحلم الذى يشد جناحا
.. كل هذا عرفته فى اخضرارى
واعتنقت الحرمان واليتم مر!
.. واذا « بالعقاد » يملأ عمرى
قد تعمقت فكره فاذابى
اترك القرية التى سجنتنى
قمت من وحدتى كبيرا مهيبا
لم اعد زهرة تغنى وتذوى
صرت حرية ، غدوت امتدادا
وعلى غرة دخلت المدينة
خائفا .. كالسنابل الخضر تجرى
مجهدا كالجفاف ، تهتز نفسى
زائغ العمر ، كل شىء اراه
ضاع من حولى الحنان وجفت
ومشى الموج مستثارا غضوبا
ثم انكرت كل شىء امامى
فالسماء الزرقاء صارت عروقا
والحياة الشمطاء : جنس وموت
.. ثم هز الشكوك وجه رحيم
لودع النفس امنها ، ثم افضى
فاذا الروح فرحة وامتداد
كان وجه « العقاد » ذلك الوج

وازدهار الضياء فى الشبابه
اشرع الخصب نحوها سبابه
وتعرى بفرحه اعشابه !
من عبير .. بابرة جوا به
قرى ضاحكا بسوق دعابه
فى ضمير الحديقة الخلابه
ان بشى النور قاصدا محرابه
وعرفت الدجى . عرفت عذابه
والشجى ، والعواطف المرتابه
حين قلبت فى يدى كتابه
احضن العالم العظيم الرحابه
لأطوف الوجود فوق سحابه
لم تعد تملأ الحياة الكآبه
لم اعد فى الوجود كالبلابه
صرت عزما ، وقدرة ، وصلابه
غائم الروح مستثار السكينه
كلما هبت الرياح الحزينه
كلما ضمنى مساء المدينه
يدفع النفس للمنى المجنونه
اغنيات ، ومزقت باسمينه
يبعث الخوف فى هدور السفينة
كل شىء .. ظنونه ويقينه
ووجوها مخنوقة ومشينه
وبقايا من جثة مدفونه
لست انسى على الليالى جبينه
للظلام الملتف مثل الضغينه
واذا الفجر فوقها ايقونه
ه جليلا فى وحدتى المسكينه !

**عبده بدوى**

# تحية الوفد

للدكتورة الشاعرة عاتكة الخزرجي

« انشدت فى الحفل الختامى لمؤتمر وزراء التربية والتعليم المنعقد ببغداد فى شباط سنة ١٩٦٤ .. »

حى باسم الاله عز وجلا    وجه هذى الوفود انى تجلى
قسما بالذى بدل القرب من الـ    ـبعد وداوى من الجوى ما اعلا
بالذى الف القلوب على الد    ـب فرفت نورا ويمنا ونبلا
بالذى مهد اللقاء ببغداد    فآسى جرحا والف شملا

***

انه سادتى لقاء عزيز    هو اغلى من الحياة واحلى
يالقاء الاحباب فى ارض بغدا    د تباركت ملتقى ومحلا
جمع الله بين جنبيك من العـر    ب كراما نبتا وفرعا واصلا
كلهم مشعل ينير لنا الدر    ب وركب به الهدى حيث حلا

***

وخطى ترتقى الى المجد حتى    تتخطى المجد الرفيع المعلى
ايه ركب الوفود للعلم للنو    ر لوحى من العلى بات يملى
قد حططت الرحال فى ربعك اليو    م فاهلا لقيت فينا وسهلا
قد فرشنا لك القلوب على الار    ض فسر فوقها اختيالا ودلا

***

وبذلت فيك النفوس رخيصا    ت فيا عزه فداء وبذلا .. !
وحفظك فى السواد من العـ    ـين وانت السواد منها واغلى
وودنا ان لو قدرنا جعلنا    الحب ما بيننا سفيرا ومولى
يا كرام الوفود فى ارض بغدا    د سيقت الندى رذاذا ووبلا

**

اننا كلنا على العهد مازلنا    وعهد الاحرار بالبر اولى
اننا كلنا على الحق اخوا    ن تخذناه كعبة ومصلى
من قديم يشدنا النسب الـ    ـعالى ووجدت لنا وشائج اعلى
وكفانا انا على الوحدة الكبـ    ـرى وانا الابرار قولا وفعلا

دكتورة عاتكة الخزرجي

# أدباء ولكنهم غير محظوظين

بقلم : محمد عبد الله السمان

يظهر أن الحظ يلعب دورا خطيرا في حياتنا الأدبية والفكرية معا ..

والحظ الذى أعنيه لا ارتباط له بالقدر خيره وشره ، حلوه ومره ، وانما هو الذى تملكه جماعة من المشتغلين بالنقد في مجال الفكر والأدب ، وممن لهم أوضاع في شتى وسائل الاعلام .

فليس كل كتاب يظهر عندنا يستقبل من هذه الجماعة بقدر قيمته في مادته وفكرته ، وانما بقدر قيمة مؤلفه ووضعه في الحياة ، فاذا كان من المحظوظين لقى حفاوة بالغة في الاذاعة والتليفزيون والصحافة اليومية والأسبوعية ، وليس في أركان الأدب والفكر مثلا ، بل في سائر الأركان ، من ركن العلم الى ركن المرأة الى ركن الاطفال ، واذا كان المؤلف ممن كتب عليهم أن يظلوا مغمورين على الاقل في نظر تلك الجماعة استقبل انتاجه بالوان الاعراض والتجاهل واللا مبالاة .

والظاهرة العجيبة التى لا نجد لها تفسيرا ، او تعجز عقولنا عن أن تجد لها مفهوما ، هو أن الناقد اذا تولى أمر انتاج بعطفه ورعايته ، بالغ في تقييمه وأسرف في المبالغة ، سرت العدوى في سائر زملائه من باب المجاملة أو من باب الأخذ والعطاء ، ولدينا مؤلف أخرج بضعة كتب ، وخرج فيها على الناس بفكرة أشبه بالنكتة ، هذا المؤلف لا يكاد يظهر له كتاب في السوق ، حتى يتصدى له محرر كبير باحدى الصحف اليومية ، مؤكدا أن هذا الكتاب ترجم الى بضع عشرة لغة ، وان عددا من جامعات العالم على آثر ظهور الكتاب استدعت المؤلف لالقاء بعض المحاضرات فيها ، وأن جائزة الدولة تنتظر السيد الهمام مؤلف الكتاب ، وهكذا مظاهرة ضخمة لن يكون ضحيتها الا دور النشر في القاهرة ، والقراء الذين لم يزالوا يحسنون الظن بكل مايكتب في الصحف ، ولو كان المؤلف ممن يكتبون القصة او المسرحية لزاحم ، في دنيا المسرحيات والأفلام أمثال احسان عبد القدوس ونجيب محفوظ وتوفيق الحكيم ، بما يقدر له من دعاية مفتعلة .

ان لدينا كتابا أخرج بعضهم عشرات الكتب في دنيا الأدب والفكر ، ولكنهم ــ كما قلت لم يمسهم بعض الحظ الذى تقبض على نواصيه جماعة النقاد عندنا ، وفى أعداد الثقافة الماضية تناول أخى الاديب الاستاذ فؤاد نور هذه القضية أكثر من مرة ، وأنحى باللائمة على النقاد الذين يلهثون خلف انتاج بعض الأدباء ولو كان تافها ، ويغمضون أعينهم عن انتاج البعض الآخر ولو كان قيما ، وضرب مثلا بالأديب القصصى الدكتور نجيب الكيلانى ، هذا الاديب الذى قدم للمكتبة العربية أكثر من عشرين كتابا في القصة والمسرحية وبعض البحوث الأخرى ، ونال معظم مؤلفاته الجوائز الاولى سواء في المجلس الاعلى للفنون ، أم في ادارة الثقافة بوزارتى التربية والثقافة ، أم في نادى القصة ، وتقررت بعض كتبه أيضا على تلاميذالمدارس الثانوية في مصر وسوريا أيام الوحدة ، وازاء هذا كله لا يحاول النقاد عندنا أن يشعروا به ، وضرب الاستاذ فؤاد نور مثلا آخر بالأديب الشاعر الاستاذ محمد أحمد العزب الذى أصبح لشعره في ظل عام الجائزة الأولى ، وتنشر له جل الصحف الأدبية في مصر والبلاد العربية ، ولكن هذا الشاعر كتب عليه أن يظل في نظر نقادنا مغمورا .

وأنا أقدم هنا مثلين آخرين : فالأديب القصصى الاستاذ محفوظ عبد العال غانم ، له أكثر من سبع قصص وروايات طويلة ، في صميم بيئتنا ، متناولة أعمق مشكلاتنا ، له : قصة ( أم الخير ) في أربعمائة وثلاثين صفحة من القطع الكبير ، قال فيها الاستاذ احمد حسن الباقورى : « يجرى أبطالها في مجالات انسانية كريمة ، تبعث في القارىء نوازع الخير ، وتثير فيه دوافع الكمال ، وتغريه بالمثل الفاضلة ، والخلق القويم » .

وله : « ابتسامة ودموع » مجموعة قصص قصيرة من القصص الانسانى بلغت اثنتى عشرة قصة من أدب القوة والخير والجمال ، تمتاز بالعمق والشمول وقوة الأداة والأداء .

وله : « سامحيها يا سماء » ، قصة في مائة وستين صفحة ، مشحونة بتصوير العيوب النفسانية ، والنقائص الاخلاقية ، والمفارقات الاجتماعية ، كان المؤلف فيها مصورا بارعا ، وفنانا عميقا .

وله : « فجر الحرية » رواية انسانية هادفة في

مائتي صفحة ، وهي رواية رمزية حافلة بشحنات هائلة من الفكر والفلسفة والبيان .

وله ايضا غير هذه وتلك ، ولكن نقادنا لم يحسوا به بعد ، ومقيـــاس أدب هذا الأديب المغمور بقدرة نقادنا ، أن أكبر دور النشر في القاهرة تولت نشر قصصه ، وفي مقدمتها دار المعارف ودار الهلال .

**هذا اديب .**

أما الاديب الاخر ، فهو المهندس الاستاذ **لبيب البوهي ،** وانتاجه أكبر من ان يحصى ومعظمه نال الجوائز الاولى ، فمثلا :

تمثيلية : **( السيد الجديد )** نالت الجائزة الاولى من مؤسســة المسرح والموسيقى عام ١٩٦٢

تمثيلية : **( محاسن )** نالت الجـائزة الاولى في التمثيليات التليفزيونية عام ١٩٦٣

رواية : **( عين جالوت )** نالت الجائزة الاولى في المجلس الاعلى للفنون عام ١٩٦١

قصة : **( زواج تجارى )** نالت الجائزة الاولى في القصة الطويلة عام ١٩٥٦

مجموعة : **( ذات النطاقين )** نالت الجائزة الاولى في القصص القصيرة عام ١٩٥٧

رواية : **( الام )** نالت الجـائزة الاولى في الرواية الطويلة عام ١٩٥٧

رواية : **( أميرة بابل )** نالت الجـائزة الاولى من الادارة العامة للثقافة عام ١٩٥٩

وله بعد ذلك مجموعته القصصيـة المسلسلة : **( الدنيا والدين ) ومع ( القرآن العظيم ) عشرة اجزاء** تيسير لتفسير ابن كثير المشهور .

**هذان** اديبان وغيرهما كثير ، وليس لنا ان نفرض على نقادنا ان يجيبونا اذا سألناهم : **اين انتم من امثال محفوظ عبد العال غانم ومحمد لبيب البوهي ؟**

**وليس** لنا أن نناقش الحسـاب السـادة النقاد ، اذا ما زعموا انهم لم يبلغهم بعد انتاج هذين الاديبين لانهم يملكون باقلامهم الدفاع عن انفسهم بالباطل ، **ويظهر** انهم لم يدركوا بعد أن مهمة الناقد ان يتابع كل انتاج فكرى وادبى ، **او على الاقـل** ان يتابعوا الانتاج الذى استحق الجائزة ، وهم وثيقو الصـلة بكل الميادين التى تمنح الجوائز للادباء المنتجين .

**الحق** أن السادة النقاد عندنا سواء منهم من كانت له قدم راسخة في الصحف ، أم من كانت له سلطات واسعة النفوذ في الاذاعة والتليفزيون ، هؤلاء السـادة وقفوا مهمتهم ، وقصروا أقلامهم على انتاج عدد من ادبائنا ومفكرينا ، **كتوفيق الحكيم ، ونجيب محفوظ ، واحسان عبد القدوس ، ونعمان عاشور ، ومصطفى محمود ، وعبد الرحمن الخميسى ،** وليس بعـدهم محظوظ ، الا حين يتلطف القدر باديب ، فتصيبه نفحة عابرة من نفحات نقادنا المبجلين الكبار .

**لو** احصينا ما كتب عن مسرحية : **يا طالع الشجره** ـ لتوفيق الحكيم ، وما اثير حولها من مناقشات في الاذاعة والصحف ، لضاق كتاب ضخم عن تسجيله ، ولكان كفيلا بتقييم عشرات القصص والمسرحيات لعدد من المنتجين المغمورين .

**اننا** لا ندعى الكمال لهؤ المغمورين ، و لايبلغ بنا الدفاع عنهم أن نضعهم في صفوف ادبائـنـا الكبـار كالحكيم ونجيب محفوظ وغـيرهمـــا ، ولكنا نريد شيئا من العدل ، وجانبا من الانصاف ، فحق كل منتج اثبت وجوده عن طـريق الجوائز التى نالها وغيرها على نقادنا أن يمنحوه جانبا من الاهتمام ، تزيل جانبا من حقده ، وتشعره بان مجهوده الذهنى الذى امتص وقته وصحته وراحته ، ليس مجرد حبر على ورق ، وليس غثاء كغثاء السيل لا يثبت على حال ، وليس هباء تذروه الرياح في مهابها .

**اليس** عجيبا الا يحفل نقادنا بمؤلفات امثـــال الاســـتاذ **خالد محمد خالد** ، التى طبعت مرات واكتسبت احترام المثقفين وقادة الرأى عندنا ؟

وامثال الشيخ **محمد الغزالى ،** الذى قدم الى المكتبة العربية الاسلامية زهاء ثلاثين كتابا ، يلتهم جميعها رواد الثقافة العربية والاسلامية في سـائر بلاد العروبة والاســلام ، ويحتـل مكانا مرموقا في جميع مكتباتها ؟

**ان** كلا من الكاتبين العالمين : خالد محمد خالد ومحمد الغزالى ، اقض بكتبه قبل الثورة ، مضاجع الاقطاع والراسمالية المتحكمة ، وطغيان الحكم البائد بارزائه ومفاسده ، دون أن يخشى بطشا ، أو يخاف عنتا .. ومع ذلك فاين المتصدرون لمهمة النقد من مؤلفاتهما ، وهي دائبة الصدور ، حتى لا يمضى عام دون أن يكون لكليهما كتاب منشور ، يعلن عنه في سائر الصحف السيارة . ؟

**وبعد** ـ افلم يزل النقد عندنا قضية يجب ان تناقش ، وان يحاسب المتهمون فيها حسابا عسيرا ، لانهم اسـتطاعوا بمالهم من سـلطان أن يعيشوا في ابراج عاجية ، حتى اصبحوا في واد ، والانتاج الادبى والفكرى للمغمورين في واد آخر . !

**محمد عبد الله السمان**




# عيد ميلاد شكسبير

بقلم : عبد الفتاح البارودى

ان المشتغلين بالفن فى العالم كله يحتفلون الآن بذكرى ميلاد شيكسبير ، لأنهم يفهمونه ، ونحن نحتفل به أيضا ، ولكن لا يكاد يفهمه غير قلائل !! اذن لماذا نحتفل به ؟ ثم لماذا لا نفهمه ؟!

اننا ندرسه فى المعاهد المختصة وفى الجامعات، وايضا أصبحنا نقدم رواياته على مسرحنا ، وكذلك نتحدث عنه فى ندواتنا الفنية .. الخ ... فكيف نتهم بعدم فهمه ؟

لكى نصل الى الحقيقة نأخذ أمثلة واقعية مما قدمناه على مسرحنا فى هذا الموسم ليسهل التطبيق ... ان المسرح القومى قدم له رواية تاجر البندقية ، والمسرح العالمى التليفزيونى قدم رواية عطيل ، فماذا فهمناه منهما ؟

بصراحة كانت معظم آرائنا دليلا على أننا أبعد ما نكون عن معرفة المسرح الشيكسبيرى ، بل عن المسرح نفسه ... كيف ؟

فى رواية تاجر البندقية سمعنا هجوما على ترجمة خليل مطران لهذه الرواية ، وفى رواية عطيل سمعنا هجوما على الترجمة وعلى الأداء التمثيلى أيضا ، ونحن فى حاجة الى الهجوم اذا كان فيه نقد موضوعى ، ولكننا ـ باستثناء النقد العلمى الذى وجهه الدكتور لويس عوض الى الترجمة ـ لم نكد نسمع كلاما موضوعيا ... وانما سمعنا مثلا فى نقد رواية تاجر البندقية أن العرض المسرحى لم يحتفظ « بروح » شيكسبير ، دون أن نعرف ممن قالوا ذلك ما هى هذه الروح ... وسمعنا أن حسين رياض لم يتقمص شخصية شيلوخ ، دون أن نعرف منهم معالم هذه الشخصية أو أبعادها أو ملامحها ... وسمعنا ان فتوح نشاطى اخرجها بطريقة روتينية ، دون أن نعرف ما هى الطريقة المثلى ... وهكذا .

**ايضا فى رواية عطيل سمعنا ان مخرجها حمدى غيث اخرجها باسلوب الميلودراما ، وان الرواية تحولت الى خطب وضجيج ، وان شخصياتها تحولت الى كومبارس ... الخ ... وواضح جدا ان هذا كلام « عائم » ، أو هو على الأقل يحتاج الى تطبيق على التفاصيل ... وانا لا اذافع عن فرقة المسرح العالمى ، وانما من اللازم حينما نتحدث عن اسلوب الاخراج ان نواجه المخرج باخطائه ونحددها له ، ونرشد الى الأسلوب الأفضل ... والا فكيف نهاجمه بلا دليل ؟!**

ان الكلام العائم الذى أصبح « موضة » فى النقد ، وخاصة فى نقد المسرحيات العالمية ، لا يفيد العاملين فى المسرح ولا يفيد الجمهور ، بل بالعكس ... فاننا بمثل هذا الهجوم كاننا ندعو الفنانين الى تجنب وجع الدماغ ، بالاعراض عن تقديم روايات شيكسبير مثلا ، وحشد مسارحنا بروايات سهلة ، فما أكثر الروايات السهلة ، والهزيلة ، التى نالت رضى نفس هؤلاء النقاد !!

**كيف نتجاهل الجهود الضخمة التى بذلها المسرح القومى والمسرح العالمى فى عرض تراث شيكسبير على مسرحنا ؟**

لقد كان خليقا بالنقاد أن يجدوا فى رواية تاجر البندقية فرصة لتقييمها فنيا وشرح آراء الخبراء العالميين فيها ، وعلى ضوء ذلك يناقشون مخرجها وممثليها والفنيين الذين اشتركوا فيها ، ويحاولون ـ ان أمكن ـ المقارنة بين مفهوماتهم ومفهومات الفرق العالمية التى لاتزال تقدمها ، والتى تنقل المجلات

العالمية المتخصصة ابناءها ، وتحيطنا علما باساليبها وكيفية أدائها ، والتطورات التي حدثت فيها سواء في الاضاءة او الديكور او الموسيقى او الملابس .. الخ .. ان من الأقوال الفنية الشائعة الآن في اوروبا وأمريكا ان شكسبير لو بعث حيا لشاهد رواياته مع المتفرجين وكأنه يشاهد روايات حديثة التأليف ، والمقصود بهذه العبارة التي قد يكون مبالغا فيها ، ان روايات شكسبير تتناولها تجارب متعددة تكاد تكيفها جديدا باعادة تفسيرها تفسيرا تتدخل فيه العلوم والفنون الحديثة ، مثل تفسيرات أورسون ويلز عندما نقلها من المسرح الى السينما .. وليس معنى ذلك هو العبث بنصوص شكسبير ، وانما من المهم أن ندرك أهمية تجربة تقديم رواياته على مسرحنا ، واهمية تقدير هذه التجربة تقديرا فنيا .. من أجل ذلك كان يجب مناقشة فتوح نشاطي وممثلي المسرح القومي مناقشة تعاونهم في تعميق هذه التجربة ، وتشجعهم على تقديم تجارب أخرى يستفيدون فيها من اخطائهم ، بدلا من تجاهل جهودهم أو نقدها نقدا عائما .




وكذلك فرقة المسرح العالمي في رواية عطيل .. ان هذه الفرقة بذلت جهدا أضخم ، لأنها تقدم إحدى روايات شكسبير لأول مرة ، ولان معظم ممثليها من البراعم الجديدة . ولان رواية عطيل بالذات من الروايات الصعبة جدا .. لماذا ؟ لانها في ظاهرها ، او كما يتصورها المتفرج العادي الذي لم يدرس المسرح ، ليست أكثر من « حدوتة غرامية » تنتهي بفاجعة ، او موعظة من مساوئ الوشاية او نتائج الحقد .. الخ .. ان النظرة الساذجة اليها لاترى أكثر من ان ديدمونه وعطيل يتبادلان الحب ويتزوجان ثم يداخل عطيل الشك فيها بتدبير من ياجو ، ثم يتضخم هذا الشك بتضخم هذا التدبير ، وتكون النتيجة أن عطيل يخنق ديدمونة ! .. والنظرة الساذجة اليها لاترى أكثر من حدوتة تحكمها المصادفات ، فان ديدمونه يقع منها منديل تعثر عليه « اميليا » فتسلمه الى «ياجو» الذي ينتهز هذه الفرصة في تدبير جريمته ، لأن هذا المنديل كان قد أهداه عطيل الى ديدمونه ، ونتيجة لذلك يتأكد من مزاعم ياجو .. الخ .. بديهي انه لو كانت الرواية بهذه السذاجة لظهر في العالم مليون شكسبير ، ولكان مؤلفونا ارفع مستوى من شكسبير ، وبديهي أيضا أن الرواية لاعلاقة لها اطلاقا بهذه المفهومات الساذجة ، وانما هي تراجيديا من أعمق وأقوى ماعرفه المسرح ، وانما لكي نفهمها لابد من ادراك معنى «القدر» و «الجلال» و «الحتمية» في الفن التراجيدي ، ومن هنا تبدو صعوبة تقديم تراجيديات شكسبير على المسرح ، وخاصة تراجيديا عطيل التي يحتاج عرضها على جمهورنا الى جهد كبير ، لكي لاتنصرف الاذهان الى ظاهرها ، ومن أجل ذلك كان يجب تقدير جهود فرقة المسرح العالمي تقديرا موضوعيا .. ان حمدي غيث ــ كمخرج ــ حاول ابراز عنصر الجلال على خشبة المسرح بتحريك الشخصيات في انفساح رهيب ، وتحريك الاحداث في نطاق دوافعها الحتمية ، لولا ان بعض الشخصيات كانت تهرول أحيانا .. أيضا في الأداء التمثيلي ، وان كان حمدي غيث في دور عطيل كانت تغلب عليه الحماسة في بعض المشاهد ، الا أنه حاول ابراز عنصر القدر ، وهذه ميزة كبيرة جدا .. وفي دور «ياجو» حاول محمد الطوخي أن يفسر هذه الشخصية تفسيرا يوضح ابعادها ، واذا كان قد غلب عليه ابراز البعد الساخر فان هذا لم يضعف ابراز بقية الابعاد .. وكذلك في دور «رودريجو» حاول أنور رستم ان يفسر هذه الشخصية تفسيرا يظهر غفلتها عما يجري حولها ، واستطاع بذلك أن يظهر في

نفس الوقت دهاء ياجــو ٠٠ كل الممثلين الذين اتهموهم بأنهم تحولوا الى كومبارس لم يكونوا كذلك اطلاقا ، بل انهم تعاونوا فى تجسيد معنويات الرواية بل اكثر من ذلك أن الذين قاموا بالادارة المسرحية خلف الكواليس استطاعوا بالتزام التوقيت الدقيق ان يحافظوا على حيوية الرواية ٠

ليس معنى ذلك كله ان أعضاء المسرح القومى أو المسرح العالمى لم تحدث منهم أخطــاء أو انهم فوق النقد ، ولكن تجاهل الجهود المضنية التى تبذل لتقديم روايات شكسبير على مسارحنا يحطم هــذه الجهود الجديرة بالتشجيع ، كما انه يبعدنا عن فهم شيكسبير ٠٠ والا فكيف نفهمه اذا لم تعرض رواياته وتصبح بهذا العرض مادة حية للمناقشة والتحليل ؟! ٠٠

وهنا نسأل : هل من الضرورى أن نفهمه ؟! ٠٠

**لاشك فى ضرورة فهم مسرحى عظيم اجمع خبراء الفن فى العالم على انه بلغ ذروة النضوج الفنى ٠٠ وليس هذا الاجماع فقط هو دليل بلوغه هذه الذروة فان رواياته نفسها هى الدليل الحقيقى ٠٠ انها تؤكد قدرته على التعمق فى النفس البشرية ، وفى تصوير كفاح الانسان من اجل تحقيق ذاته ، وفى مخاطبة العقل والخيال والعاطفة ، وفى تحليل النمــاذج البشرية تحليلا منقطع النظير ، وفى التعبير عن ذلك كله تعبيرا شاعريا رائع المستوى ، وهو بهذا يمثل اصــدق واقوى واعمق تمثيل العصر الفنى الذى اصطلح على تسميته بعصر « عظمة الانسان » ٠**

واذن فمن الضرورى أن نفهمه ، ولكن كيف نفهمه؟ بالدراسة وبالممارسة ، أى بدراســة تراثه وبعرض مسرحياته عرضا يساعدنا على هذه الدراسة وهــذه الممارسة ٠٠ ونحن الى الآن لم نحقق ذلك كما ينبغى ٠٠ لماذا ؟ لأننا ندرسه فى المعاهد والجامعات دراسة غير منهجية ، وربما كان هذا هو السبب الاول فى سوء تقييم رواياته ٠٠ ان مناهج تدريس رواياته فى جامعاتنا لايمكن أن تساعد الطالب على فهمها ، فهذه المنــاهج تركز اهتمــاماتها فى هذه الروايات كنصوص قائمة بذاتها ، والنتيجة أن الطلبة ـ مهما بلغ اجتهادهم ـ يحفظون هذه النصوص وشروحها وكأنها « محفــوظات » ! افرض انك حفظت كل رواياته عن ظهر قلب ، فكيف تفهمها اذا كنت لم تدرس فلسفــة شكسبير وفلســفة عصره ؟! ان المسرحيات ليست كتبا فى الفلسفة ، ولكنها تعبر عن «رؤية فلسفية» للمؤلف ٠٠ هذا يستلزم دراسة فلسفته فى كل رواية ، وفى كل اتجاه ، دراســة مقارنة بفلسفة عصره ومعاصريه ٠٠ ان « النص » فقط لا يعطى شيئا ٠٠ ان رواية عطيل وحــدها لاتعطيك أكثر من حكايات المنديل والغدر والخيــانة والقتل والخنق ، ورواية «هملت» وحدها لاتعطيك اكثر من حكايات الانتقام والخيانة الزوجية٠٠ الخ٠٠ وانما لكى تفهم روايات شيكسبير لابد من بحثهــا وتحليلها على ضوء المعرفة العميقة للرؤى الفلســفية فيها ٠٠ فلابد من أن تعرف فلسفته وفلسفة عصره فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، ولأن هذه الفلسفة مرتبطة ـ بشكل ما ـ بفلسفة القرن الرابع عشر فلابد من معرفتها يضا ٠٠ ولكى تعرفها لابدمن معرفة فلسفة القرن الثالث عشر ٠٠ الخ ٠٠ وهكذا نجد انه لكى تعرف شيكسبير يجب ان تدرس الفلسفة كلها ، وطبعا يجب أن تدرس النصوص كلها ابتداء من الاغريق ، وتدرس مختلف التيارات الفنيــة والنقدية ٠٠ فهل يحدث هذا فى المناهج الجامعية ؟ أبدا ٠

والنتيجة أن الجامعات تخرج دارسين بلا دراسة حقيقية ، وهؤلاء يتوهمون أنهم درسوا ، وهم فى الحقيقة لم يدرسوا ٠٠ ان جامعاتنا ـ بصراحة ـ فى حاجة الى تغيير طرق دراسة المسرح ، والى اعـداد دراسات يشترط أولا أن تكون منهجية ٠

ان تراث شيكسبير لايزال للآن موضع دراســات جديدة فى جامعات العالم ، ولاتزال المطابع العالميــة تصدر عنه كتبا بين حين وآخر ـ اما عندنا فالى جانب عجز جامعاتنا عن تدريسه تدريسا منهجيا ، فان الباحث عنه فى المكتبة العربية لا يجــد غير كتب ومترجمات قليلة العدد ، ومن اجل ذلك يجب أن نتوسع فى ترجمته ، ليس فقط ترجمــة رواياته واعادة النظر فى الترجمات التى صدرت ، بل أيضا يجب أن نترجم المراجع والأبحاث ورسالات الدكتوراه والماجستير التى تناولت أعماله ٠٠ ايضا يجب أن نشجع الدارسين الأكاديميين على اعداد رســالات علمية تتناول حياته واتجاهه وتناقش رواياته ٠٠ كذلك يجب أن نستعد من الآن للاشتراك مستقبلا فى مهرجان شيكسبير ، ولو باقامة « اسـبوع فنى » نعرض فيه رواياته على مسارحنا عرضــا علميا ، ويشترك فيه الدارسون باقامة ندوات يحاولون فيها تقييم هذه الروايات وتقريبها الى الأذهان ٠٠ بهذا الشكل نستفيد من شيكسبير ومن أساتذة المسرح فى تطوير مسرحنا ، وفى تعميق مفهوماتنا الفنية ٠

**عبد الفتاح البارودى**

# حول الأدب في أسبوع

## يقدمه : عبده بدوى

### ما بعد اسوان :

بعد ان غادرنا مدينة « اسوان » التفتت العيون ، ثم تلفتت القلوب على حد تعبير الشريف الرضى ، ذلك لان اسوان كانت قد اصبحت جبنا العظيم ، وفى الوقت نفسه خيل الينا انا اصبحنا اكثر مسئولية عن العالم ، وان انسان هذا العصر عظيم « عميق » وانه لا يحمل الصخرة لم يعود بها « كسيزيف » ولكنه يرفعها ، ثم يرفعها ، ثم يضعها فى حيث يجب ان تكون فى البناء الحضارى الكبير ، فقد تخطى هذا الانسان الحاضر الى المستقبل ، ومن بين اصابعه رأينا هذا المستقبل يولد ، ومن خلال عرق جبينه أبصرناه يرتفع ، ثم يصمد ، ثم يصبح حقيقة !

وليست هذه أول حضارة يقوم بها الانسان المصرى فى هذه المنطقة ، ذلك لانه سبقت ذلك عدة حضارات قامت على التحدى ـ كما يقول توينبى ـ ثم قامت على الشعور بالطمأنينة الذى وفرته فى هذه المنطقة الرقعة الجغرافية المكشوفة التى كان منها يبعد الأعداء ويستعد لهم ، ووفره كذلك مجيء الفيضان فى مواعيده ، وانتظام دورة الشمس .. وكل هذا اعطى للمصرى احترامه للحياة الأولى والاخرى ، واعطاه التفاؤل ، والثقة، والرغبة الدائمة فى الانتصار على الموت !

***

وفى اثناء تلفتنا بالعيون ثم القلوب رأينا قبر «اغاخان» يشرف على ربوة كبيرة تطل على اسوان، ورأينا هذا القبر يحمل الى النفس التاريخ الطويل « للشيعة » وكفاحهم الطويل من اجل أن يطلوا بكلمتهم وبمفاهيمهم الاسلامية على الحياة ، ورأينا كيف تحول كل هذا الى ترف ، والى وقوف تحت الاضواء فى أكثر من مكان بالعالم ولعلّ ما يبقى من كل هذا هو تلك « الشاعرية » التى تتمثل فى «الزهرة الحمراء» التى تقطف كل يوم من حديقة قصر كبير يطل على النهر ، ثم تحمل فى الطريق الطويل تحت الشمس ، ثم توضع على القبر فى انية صغيرة لا تتسع الا لتلك الزهرة ، سواء اكانت الاالانامل التى تحمل هذه الزهرة الحمراء ـ التى كان يحبها اغاخان فى حياته ـ انامل «البيجوم» الرقيقة حينما تكون موجودة ، او اصابع الحارس الاسوانية السمراء حينما لا تكون هذه الانامل موجودة .

***

اما الربوة الأخرى التى كانت تطل بذاتها دون حاجة الى مرتفع من الارض فقد كانت قبر العقاد العظيم ، واذا كان « الفكر » هو ما يذكرنا بالعقاد فى القاهرة ، فان المناخ الاستوائى ، والحجارة العملاقة ، والضوء الذى يخيل للانسان انه حجارة بيضاء صلبه ... يذكرنا بالعقاد فى اسوان

ولا ادرى لماذا ذكرته شاعرا فى هذه المنطقة بالذات ، ولماذا وفد الى ذهنى هذا البحث الذكى الذى كتبه الدكتور « زكى نجيب محمود » عن شعر العقاد فى عام ١٩٦٠ ، وكيف انه ذكر ان شعر العقاد اقرب ما يكون الى فن العمارة والنحت ، وان قصائده تمت بنسب الى هرم الجيزة ، ومعبد الكرنك ، ومسجد السلطان حسن ، فشعره يذكر بتمثال رمسيس وبالمسلة اكثر مما يذكر بخامة الطين اللينة ، وبالاناء الخزف الرقيق ، ذلك لأن المادة عنده ليست سهلة التشكيل ، ولأن الفكرة عنده ليست قريبة المنال .

وكاننا كنا مع قصر « انس الوجود » على ميعاد ، ومن ثم نرى انفسنا نتذكر تلك القصيدة التى قالها العقاد فى هذا الاثر ، والتى استشهد بها الدكتور زكى نجيب محمود فى الوقت نفسه على صحة ما قاله

وتنضم رءوس أعضاء البعثة وقلوبهم لاستحضار هذه القصيدة التى تقول :

**رعى الله من اسوان دارا سحيقة**
**وخلد فى ارجائها ذلك القصرا**

**بنو الشمس اهلوها اذا اشتد قيظها**
**وجاش عن الصحراء فانقدت جمرا**
**لقد نفثت فينا الحياة غرامها**
**فانفسنا من حرها شعلة حرى**
**درجنا بحيث الدارجون عروشهم**
**فيام تناجي في سكينتها الدهرا**
**عبرنا اليه النهر ليلا كاننا**
**عبرنا من الماضي الى الضفة الاخرى**
**ولما راوها يشبه الخلق صنعها**
**تقالوا فقالوا الانس قد سخت صخرا**
**لقد اكبروا الا على الله خلقها**
**فقالوا براها ، ثم اصمتها قهرا**

وتنتهي القصيدة ، وارانى اذكر ماوعد به الدكتور زكى نجيب محمود من اعداد كتاب عن شعر العقاد ، ولا تلعب بي الظنون حين لم اقرا له شيئا عن العقاد بعد وفاته ، فلعله يكون عاكفا على تاليف هذا الكتاب .

## رمسيس الثاني وشلى :

وفي الواقع ان الانسان وهو يعبر في الشريط المائي الى الجنوب ، ينمو عنده شعور بان كل شيء قد استيقظ الآن على الجانبين .

لقد عبرت هذا الشريط من قبل عدة مرات ، وكان كل شيئا ميتا ، ومستغرقا في الموت ، ولكن كل شيء الآن يتهيا للحركة ، او يتحرك ، او يغادر مكانه ، وليس هذا الكلام خاصا بالبشر فقط وانما بالاثار كذلك .

ولعل هذا يتاكد اكثر ما يتاكد حين نصل الى معبدى « ابو سمبل » الخاصين برمسيس الثاني وزوجته ، وترى تماثيل القردة التى تحيي الشمس، والتماثيل الاربعة المواجهة التى تعتبر من اكبر التماثيل التى عرفتها مصر ، ثم صالة الأعمدة المطرزة بالنقوش ، ثم يشتد وجيب القلب — كما لم يشتد من قبل — وهو ياخذ طريقه الى قدس الاقداس ، حيث الآلهة الذين يجلسون في رسوخ وتطلع ، والذين يتمثلون في بتاح ، وحورآختي ، وآمون ، ورمسيس الثاني

والمعبد قصته طويلة تكاد تصل الى حد الثرثرة عن حرب رمسيس الثاني في قادش على نهر العاصي ، بعد أن تجمعت ضده عدة دويلات ، وكيف انه وقع في كمين أعده له الأعداء ، ثم وكيف انه كاد ينهار لولا تلك الترنيمة التى رفعها الى آمون والتى جاء فيها

**« ما هذا يا آمون**
**ايتخلى الاب حقا عن ولده ؟**
**الم يكن ذهابي بامرك ؟**
**الم اخلدك بالآثار الكثيرة ؟**
**الم املا معبدك باسرارى ؟**
**ها انا ادعوك**
**وسط اعداء لا اعرفهم**
**انني اتيت هنا بامرك**
**وانك تسمع لى ؟ »**

وبعد هذه الترنيمة استطاع ان يحدث ثغرا في هذا الحصار المضروب حوله ، وكانت عودته الى مصر ، ثم شغله الدولة بهذه بتسجيل هذه الحرب .

***

ومهما يكن من شيء فقد تم الصلح بين الدولتين، ثم تتوج هذا الصلح اخيرا بزواجه من ابنة ملك الحيثيين ، وقد اهتم « رمسيس الثاني » بهذا الزواج ، ولما كانت العروس قادمة من آسيا في أوائل شهور الشتاء ، فانا نراه يرفع ترنيمة الى « ست » اله العواصف يقول فيها « ليتك تتاخر عن ارسال المطر ، والرياح الباردة ، والثلج ، حتى تصلني تلك العجائب التى اصبحت من نصيبي » واخيرا وصلت العروس ، وحين دخلت على الملك الاله الذى كان قد اصبح عجوزا سره مقدمها ، وراى انها جميلة الوجه كاحد الآلهة .

وعمر « رمسيس الثاني » وترك وراءه ما يقرب من مائة ولد ، مما ترتب عليه أن زواج الأمراء قد تسبب في مشكلة كبيرة هي ان احدهم تزوج من ابنة بحار سورى

كل هذا وغيره — سقته عن عمد — لانه يكفي لتحريك الأقلام نحو هذه الأعمال ، ولانه يجب ان ننظر الى التاريخ المصرى القديم — وبخاصة في هذه الفترة — من وجهة نظر جديدة تتمشى مع آمالنا ومع مستقبلنا ، وتجعل لنا ولو عملا واحدا في مستوى قصيدة « شلى » التى كتبها عن رمسيس الثاني بعنوان :

« اوزيماند ياس مصر

والتى جاء فيها :

**قابلت مسافرا من بلد عريق في القدم**

**قال: ان ساقين كبيرين من الحجر لا يعلوهما جسم ساقان يقفان فى الصحراء، وعلى مقربة منهما فوق الرمال**

**يرى المرء وجها محطما يكاد يكون مطمورا تحت التراب**

**ونقشت على قاعدته هذه الكلمات :**

**اسمى اوزيماند ياس ملك الملوك**

**أيها الأقوياء، انظروا الى اعمالى .. وايأسوا .**

**ما بعد المعبد :**

***

ثم سرنا الى مناطق التهجير فى الأراضى المصرية ، واخترنا قرية « ادندان » لنقف فيها بعض الوقت ، وهنا رأينا لوحة معدة لتركز على قمة جبل فى المنطقة وقد جاء فيها « ادندان الحبيبة ، أبناؤك الأوفياء اذ يبارحونك تلبية لنداء الوطن الأم بمناسبة اقامة السد العالى يستودعون ترابك العزيز رفات الآباء والأجداد .. يحملون لك فى ثنايا القلوب أصدق الوفاء وأطيب الذكريات » .

وقد أكرمنا فنانوا هذه القرية بتقديم أغان ورقصات وقد استرعت انتباهى عدة أغان تقول :

« أيها الطير الذى يرفرف فى السما ،
أيها الطير الذى يرقص ويغنى
أرجوك أن توصل لى رسالة الى النوبة
رسالة تقول انى مشتاق الى بيتى والى النخل
ارجوك أيها الطائر ،
« منديلك الذى أعطيت لى

لن أريه لأحد
سالم أطرافه وأكويه
ثم أضعه فى صندوق وأغلقه عليه

وسيبقى مفتاحه معى
لأن منديلك هو « تذكار المحبة » .

**ما بعد البعد :**

***

ثم كانت رحلتنا الى منطقة حلفا ، والى منطقة التهجير السودانية ، وهناك شاهدنا أحد الأفراح التى يقوم فيها بالرقص الشباب والشابات كل فى صف ، وقد بلغت اللوحة حدا من الفتنة حملنى والدكتور محمد المعتصم سيد ، وعلى عيسى ، وأحمد بهجت على المشاركة فى هذه الرقصة ، وكان مما تأثرنا به أنا حين طلبنا معرفة هذه الأغانى التى كانت تغنى بالنوبية، قيل لنا أنها تدور حول الفراق، فمع أنهم فى عرس الا أن المدينة تودع بعضها بعضا .. ثم كان الشعر ، فأنا لا أملك نفسى كلما ذهبت الى السودان من قول الشعر .

**عبده بدوى**

# من هنا و هناك

● **تاريخ الترام فى القاهرة :**

فى ٥ ديسمبر سنة ١٨٩٤ ، منحت الحكومة شركة ترام القاهرة الاذن باستغلال خطوط ترام كهربية فى الشوارع التى تراها صالحة لمرورها . وفى اغسطس سنة ١٨٩٦ بدات المركبات فى السير محدثة دهشة بالغة لوجود وسيلة نقل بهذه السهولة وهذا الاجر الطفيف ، اذ استطاع الفقراء من العمال ونحوهم أن يتساووا بالاغنياء فى اتخاذ مركبات تنقلهم من اقصى المدينة الى اقصاها فى سهولة ويسر بعد ان كانوا يجوبون تلك المراحل على الاقدام او على ظهور الدواب تحت اشعة الشمس المحرقة .

**ويجدر بنا ان نلاحظ انه فى سنة ١٨٩٤ وما قبلها كانت مدينة القاهرة أصغر منها اليوم بكثير فكانت منطوية على نفسها فى احياء مكتظة بالسكان الذين كانوا يتعثرون فى مسالك ضيقة وحارات ملتوية تنتهى بازقة مقفلة فى وجوه السابلة ، اذا استثنينا بضعة شوارع فى حى عابدين او فيما كانوا يسمونه بالاسماعيلية وهو اليوم ميدان التحرير وما يتصل به جنوبا .**

والى سنة ١٩٠٣ ظل حى شبرا منطقة ريفية لا يرى فيها الا عراء بعد عراء حتى التاريخ الذى بدا فيه مد السكة الحديد لمرور الترام وتبع ذلك مرور العربات والدواب تحمل مواد البناء الى حيث قامت الدور شيئا فشيئا حتى بلغت ما بلغت من العمران المعروف اليوم .

ومن الاعمال الكبرى التى تحققت فى اعقاب مرور الترام ردم الخليج الذى كان يقسم المدينة نصفين فى مسافة تقدر بسبعة كيلومترات تغدو فيها السفن وتروح تحت اعين الناظرين من شرفات المنازل طيلة المجرى المديد .

● **السيارات فى عهودها الاولى :**

فى سنة ١٧٧٦ ظهرت اول سيارة بخارية ذات ثلاثة عجلات واحدة امامية واثنتين خلفيتين . وكان فى مقدمتها مرجل يمد المحرك بالوقود . وكان هذا المحرك ذا اسطوانتين أو « سيلندرين » وكانت تقطع خمسة كيلومترات فى الساعة .

وفى سنة ١٨٩٧ ظهرت سيارة لها محرك ذو اسطوانة واحدة من الخلف . وقد عاشت هذه الأخيرة عند صاحبها الى سنة ١٩٣٧ حيث استعملها احد الفرنسيين فى قطع المسافة بين باريس وبرست دون ان يصيبها اى عطب وكانت تقطع فى الساعة ٢٥ كيلو مترا .

**وقد ظهرت السيارة فى مصر عام ١٩٠٠ فى شكل بدائى بحت . ولا يكاد يتصور اهل الجيل الحاضر مبلغ الصعوبات التى كانت تقوم فى سبيل الحصول على البنزين ، اذ لم يكن فى هذا الحين محطات بنزين ولا حظائر للسيارات . وكان البنزين يصرف للصيدليات وتجار العقاقير لبيعه لعملائهم بمقدار للاغراض المتصلة بالطب .**

ويجدر بنا ذكر حكاية طريفة فى شأن البنزين حدثت لاحد المشتغلين بشئون السيارات آنذاك :

أعوزه البنزين فلجأ الى صيدلية وطلب منها خمسة لترات فى حين أن الصيدلية لو جمعت كل ما عندها منه ما بلغ لترين . فارتاع الصيدلى وظن أن فى صدره نوايا اجرامية وفكر فى الاتصال بالبوليس ، ولما سأله عن الغرض من طلب هذه الكمية الكبيرة طفق يبين له الطريقة الحديثة فى تحريك السيارات فلم يصغ اليه وخاله ساخرا ، فقال له الصيدلى : أن محركات السيارات تعتمد على البخار لا البنزين . وبعد نقاش طويل قبل الصيدلى أن يبيعه لترا واحدا بعد أن طبع على

الزجاجة ورقة كتب عليها . « مادة شديدة الاشتعال . »

وكان ثمن هذا اللتر اربعين قرشا صاغا ، وهو ما قيمته اليوم اكثر من مائة وستين قرشاصاغا . انقدها المشترى الى الصيدلى بعد ان اعطاه الضمانات الكفيلة ببراءته مما عساه يحدث من جراء احراز هذه الكمية الهائلة من البنزين ، وبعد أخذ البيانات الكافية عن هذه المشترى من عنوانه ووظيفته وجنسيته .

« عن اللغات الاجنبية »

## الجمل
## وشبه جزيرة العرب

للفيلسوف الفرنسى القديم والكاتب الالمعى العظيم « بوفون » ( ١٧٠٧ — ١٧٨٨ ) الذى تناول بالتحليل جميع الحيوانات وترك فى هذا اللون اوصافا مختلفة يعتز بها الفرنسيون الى اليوم ويعدونها ذخيرة قيمة من ذخائر الأدب الفرنسى الكلاسيكى .

**قال فى وصف الجمل ثم تطرق الى وصف الجزيرة العربية ان الاعراب يعتبرون الأبل هبة من الله تعالى ولولاه ما طاب لهم عيش ، ولا لانت لهم حياة ولا تيسرت لهم تجارة ، ولا استقامت لهم السبل فى حل ولا ترحال ، بل ولا قامت لهم مساكن فى العراء** فليست الابل طعامهم اليومى السائد ولحومها غذاؤهم **تعصمهم من أوار الحر وزمهرير البرد .** الرئيسى الذى يستعذبونه كثيرا وان كانوا لا يشتقون منه صنوفا ولا الوانا عديدة ، وانما هو الطهى بدرا عنهم الجوع وكفى . وهم يتخذون من اوبارها الناعمة نسيجا يلبسونه فيقيهم الحر والبرد على السواء . وأثاثا وثيرا للنوم والجلوس والاسترخاء تلك الاوبار التى تتجدد لهم فى كل عام مرة وتملأ مساكنهم بما يحقق اغراضهم المنزلية المتواضعة جميعا .

**والاعراب يتفننون فى تصميم الخيام الواسعة التى تتالف من جلود الابل فيقيمون جدرانها ويبسطون فوقها سقفا منيعة تعصمهم من الأمطار وتكفل لهم الوقاية من عادات العراء . وفى هذا يقول القرآن فيما يقول فى ذكر النعم التى اسبغها الله عليهم : « وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين . »**

فالاعراب ، بهذه الابل ، لا يعوزهم شىء وبها كذلك لا يرهبون اعداءهم ولا يخشون بطشهم وعدوانهم ، اذ فى وسعهم ان يقطعوا فى اليوم الواحد خمسين فرسخا بينهم وبين اعدائهم . فقد تنهار امام جحافلهم انواع الاسلحة التى تقوم فى وجوههم لبسط النفوذ او الانتقام .

ليتصور المرء بلادا لا ماء فيها ولا خضرة ، وانما هى الشمس المستعرة التى تسلط اشعتها النارية على الجبال والرمال وتلفح الوجوه باسلاكها اللاذعة وضوئها الضاحى المتوهج هناك يمتد البصر الى مناعة الآفاق حيث لا يستوقفه شىء يمت بصلة الى الحياة من حيوان او نبات . اللهم الا اذا امعن فى الفحص فتبدو له أنواع من الهياكل العظمية التى خلفتها حوادث الماضى ومغامراته تنبث فى الجحور وسفوح الجبال والكهوف وغير ذلك من البقاع التى لم تدخل عليها يد الطبيعة تغييرا ولا تبديلا . فمن صخور منقبلة من الاطواد الشامخة الى أحجار لفظتها الهضاب والآكام الى رمال منصهرة تداعب حباتها اشعة الشمس اللافحة الى حفر وجنادل موحشة تنعدم فيها الحياة من كل نوع . من النهار فى وهجه وسعيره .

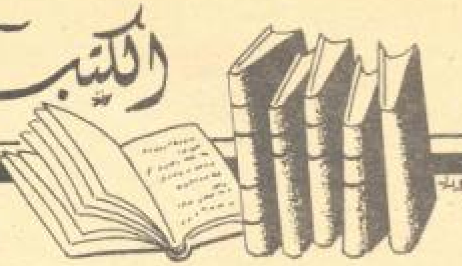
**وبياض النهار الضاحى فى هذه البقاع ادعى الى ضيق الصدر وانقباض النفس من سواد الليل الدامس ، اذ الليل فى فتوره وظله وسكونه اهدا من النهار فى وهجه وسعيره . والذى يقلب النظر فيما يحيط به ، يشعر انه فى قبره وانه اضعف من البعوضة جسما وروحا ومن ضل الطريق فى الصحراء كان فى عداد الموتى لبعده عن عالم البشر النابض بالحياة**

عبده الشامى

# الكتب

## نقد وتعريف

يقدمه تحسين عبد الحي



**فلسطين في المعركة**

**تاليف : فؤاد نصحى**

لقد عانى شعبنا العربى الكثير فى نضاله المستمر ضد الاستعمار ٠٠ باشكاله المختلفة ٠ وكان ضياع فلسطين بمثابة ناقوس الخطر الذى دق بعنف ليوقظ فى شعبنا الاحساس بالضياع والتمزق اللذين جعلا منا ألعوبة على مسرح السياسة العالمية فقد ديست كرامتنا بالاقدام على أرض فلسطين الشهيدة ٠٠ وأصبحنا سلعة رخيصة فى سوق المضاربات الدولية

***

وكتاب اليوم يعتبر تسجيلا تاريخيا للقضية الفلسطينية بظروفها وملابساتها والمؤامرات التى حيكت حولها ٠٠ وارتباط هذه الظروف بقضية الاستعمار والتحرر فى كل جزء من أجزاء وطننا العربى ٠ وكيف كان لتمزق العرب وفرقتهم انعكاسا مؤلما على قضية فلسطين نفسها » ٠

فقد بدأت فصول الكتاب بتعريف لفلسطين ولتاريخ كفاح شعبها من أجل التحرر من كل الوان الاستعمار سواء أكان تركيا عثمانيا أو انجليزيا ٠

ولقد شرح المؤلف ( على حد تعبيره ) جهود الجامعة العربية سنة ١٩٤٥ فى مواجهة الحركة الصهيونية ٠ فقال فى صفحة ٥٩

« وواجهت جامعة الدول العربية نشاط الصهيونية داخل فلسطين وخارجها ٠

كما قرر مجلس الجامعة فى ١٩٤٥/١١/١٢ تكليف دولة السيد جميل مردم ٠ وزير خارجية سوريا وقتها بالسفر الى فلسطين لتقريب وجهات نظر الاحزاب الفلسطينية بقدر الامكان » ٠

وقرر المجلس تكليف السيد عبد الرحمن عزام الامين العام للجامعة – وقتها – بالسعى لدى السلطات البريطانية للافراج عن المعتقلين والمسجونين الفلسطينيين والاتصال بالدول العربية ذات الشأن لاصدار التصريح المطلوب بقبولها ايواءهم فى البلاد العربية ٠ !!

كذلك درس مجلس الجامعة فى ١٩٤٥/١١/١٨ تقرير اللجنة الاقتصادية عن مشروع انقاذ الأراضى الفلسطينية وقرر تعيين هيئة من الخبراء لترفع للمجلس رأيها بما يلزم من القواعد والوسائل الفعالة التى تؤدى لأحسن النتائج بالنسبة للغاية التى ترمى اليها دول الجامعة ٠

***

ويقول المؤلف كذلك فى صفحة (٦٠)

« كذلك واجهت الجامعة العربية مشكلة شراء اليهود لأراضى فلسطين – فتقرر انشاء شركة سميت « الشركة العقارية العربية » برأسمال قدره مليونان من الجنيهات ، وتهدف الى القيام بأعمال التسليف والتأمين الزراعى والعقارى ، وتمكن العرب من الاحتفاظ بملكية أراضيهم واستصلاحها ، والوقوف أمام تدفق رءوس الأموال اليهودية العالمية التى تهدف الى امتلاك أراضى فلسطين ٠

كذلك دعا مجلس الجامعة الدول العربية الى اصدار تشريعات موحدة لاعتبار بيع الاراضى لليهود فى فلسطين جرما جنائيا يعاقب مرتكبه بأشد العقوبات ٠

***

وفى الوقت الذى كانت الجامعة العربية تصدر فيه القرارات والتوصيات كان الصهاينة يقومون بتنفيذ خطتهم الارهابية فى فلسطين بالاتفاق مع بريطانيا

.. فنشروا الرعب والدمار في كل مكان . ففي يوم ٩ مارس ( آذار ) سنة ١٩٤٨ . ذبحوا ٢٥٠ فردا ذبح الشاة في قرية « ديرياسين » وكان من بينهم ٢٥ امرأة حبلى بقرت بطونهن وهن على قيد الحياة برءوس الحراب منهم اثنان وخمسون طفلا قطعت اوصالهم امام امهاتهم ، ثم ذبحوا واجتزت رقابهم في احضان امهاتهم ، ثم أجهز على الأمهات ومثل بهن .

وهكذا استمرت المذابح في « ناصر الدين » وبيت الخورى . ومقبرة الزيتون ، وبيت دراس .. وغيرها .. وغيرها ..

وقد استعرض الكتاب ظروف الحرب الفلسطينية مبينا الكثير من الخيانات التي نعرفها جميعا الى أن وصل الى حرب السويس سنة ١٩٥٦ وكما كان القتل والارهاب والتعصب هو طابع اليهود في كل زمان ومكان فقد مارسوا هذا الارهاب الوحشي بأبشع صوره في قطاع غزة . مثال ذلك ما فعلوه مع الشاب الفلسطيني موسى سابا الذي صاح في وجه معذبيه :

اقتلوني بدلا من هذا التعذيب .

فرد عليه (بن كنعان) رئيس المخابرات الاسرائيلية في وحشية وتعصب . « لقد أجهزنا على مسيحكم تعذيبا . ولا شيء سيمنعنا من الاجهاد عليك بنفس الطريقة !!

والأمثلة كثيرة ومتعددة لا يمكن حصرها .. تشهد كلها على أن التعصب والعنصرية اليهودية البغيضة قد فاقت كل حدود التصور .. ومنها على سبيل المثال :

جمعهم لأفراد عائلة « شهيورة » وعددهم اثنا عشر فردا واطلاقهم النار على ظهورهم .

وكذلك قبضهم على عمر الحلبي من بئر سبع وفقؤهم عينيه ثم دفنهم لثلاثين شابا فلسطينيا وهم أحياء في ١٩٥٦/١١/١٠ واقتحامهم للبيوت العربية المسالمة واعتداؤهم على اعراض النساء والاجهاز عليهن بعد ذلك » .

***

ويستمر الكتاب بعد ذلك في ذكر هذه المذابح سواء في صورتها الفردية أو الجماعية .. ويصل بعد ذلك الى شرح دور وكالة الغوث في محاولتها انهاء مشكلة اللاجئين الفلسطينيين مرة بالسعي لتوطينهم في الدول العربية .. وأخرى بتهجيرهم الى اماكن أخرى من العالم .. وذلك في محاولة للقضاء على الآثار الدامية لضياع فلسطين .. وتصفية القضية الفلسطينية تصفية نهائية .

**وبعد ..**

**لا شك انه مهما طال بنا الحديث عن تعصب اليهود ووحشيتهم فهذا الحديث في رايي ـ يعتبر من قبيل تحصيل الحاصل .. لانه ما من مواطن من ابناء شعبنا العربي الا ويشعر من أعماقه بأن ضياع فلسطين ووجود اليهود في قلب امتنا .. امتهان له كانسان ينتمي الى أمة عريقة في المجد . لقد طعن شعبنا في اعز ما كان يملكه اجداده والذي ما زال يمتلكه هو .. طعن في كرامته وفي شرفه وعرضه .. تلك الصفات التي يتميز بها تاريخ العرب في كل زمان ومكان ـ ولا اعتقد كذلك ان هناك من يخالفني الراى في أن العار لا يغسله الا الدم ..**

***

**ولما كانت طبيعة العصر الذي نعيش فيه تفرض علينا الا تدفعنا عواطفنا الثائرة وكرامتنا الجريحة الى ان نتخذ خطوات هوجاء .. قد تعود علينا بالدمار .. فقد كان من المفيد حقا ان ترتفع قيادتنا الثورية التي قاسى معظم افرادها الكثير في حرب ١٩٤٨ الى مستوى الموقف القومي والعالمي في مجال عملها لاسترداد وطننا السليب . فليس مهما ان ندخل في حرب سريعة مع اسرائيل ـ تكون في طبيعتها مثل حرب ١٩٤٨ ـ ولكن المهم هو ان يذهب أولئك الذين أوجدوا اسرائيل من وطننا نهائيا .. فقد حاربتنا انجلترا سنة ١٩٥٦ من قواعدها في العراق .. وسوف تحاربنا ـ عند اول اشتباك لنا مع اسرائيل من قواعدها في ليبيا وعدن .. ولذلك أصبح من المحتم علينا ان نقضي على كل القواعد الاجنبية في وطننا لكي نحمي ظهورنا من الخلف عندما يحل يوم الثأر المجيد ..**

***

**ان واجبنا القومي كافراد يحتم علينا ان نرتفع ايضا الى مستوى الموقف .. فاذا كانت الاموال قد رصدت للقيام بمهمة شرح القضية الفلسطينية على المستوى الرسمي والشعبي في العالم فيجب ان تتجرد هذه المهمة القومية من الطابع الوظيفي .. الذي لا يناله الا المقربون عديمو الكفايات والفهم الكامل الواعي .. ولست في حاجة الى ذكر الأمثلة والمهازل التي تنشرها الصحف يوميا عن المآسي التي تقترفها هذه العناصر المنهارة في مكاتب الجامعة العربية في الخارج .. تلك العناصر التي نعتبرها من مخلفات العهود التي اضاعت بحماقتها وسطحيتها أرضنا العربية في فلسطين ..**

**ان كل ثغرة مهما كانت بسيطة في أى عمل منظم**

سوف تفقده على الأمد البعيد الكثير من الامكانيات التى يمكن ان تدفعه الى الأمام ..

***

يجب ان يؤمن كل المبعوثين العرب فى الخارج انهم يمثلون امتهم التى مـا زالت فى حالة حرب مع الصهيونية العالمية .. وهم بذلك جنود فى هـذه المعركة . وعقوبة الخطأ الذى يقترفه الجندى فى ميدان القتال معروفة لدينا .. ومن ثم يجب ان يطبق هذا المبـدأ .. على أولئك الذين لا يعرفون عن واجبهم سوى انه نزهة جميلة فى بلدان العالم وفرصـة نادرة لجمع الأموال واقتناء العربات الفارهة والثمين من التحف النادرة . وشيء آخر اود ان اقوله هنا :

لقد اقتنع شعبنا بان ابراز الكيان الفلسطينى ـ يمثل بالنسبة لنا ـ كسبا قوميا وعالميا ـ فى مجال التكتيك المرحلى لاسترداد وطننا السليب ـ وهـذا الكيان يجب ان يدعم بالطاقات الفلسطينية المؤمنة الواعية والتى يجب ان ترتفع هى ايضا الى مستوى قضيتها .. فليس مهما الآن ان تثار معارك جانبية حول مبادىء وهمية .. منها الانتخاب والتعيين ولكن المهم هو ان يكون الجميع مثـالا لتفهم واجبهم القومى الذى يحتم عليهم ان يدمروا فى نفوسهم تلك العقد الوهمية التى تسببت فى ضياعهم ..

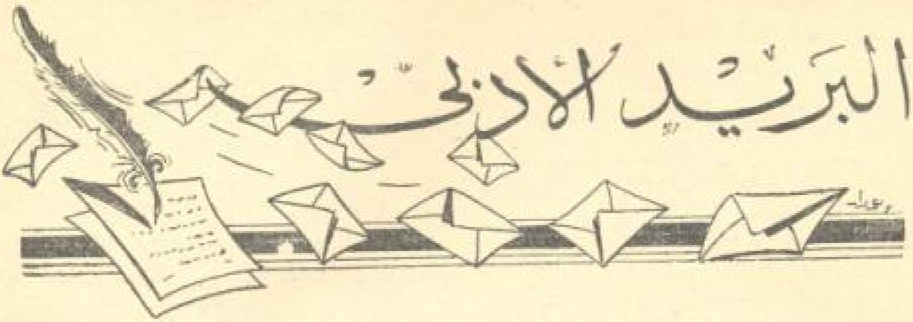
***

ان المجال الطبيعى لمناقشـة الانتخاب او التعيين انما يكون فى حيفا ويافا مدن فلسـطين المحتلة ـ والناصرة وغيرها من مدن فلسطين بعـد العودة .. وليس قبل استرداد فلسطين ..

لقد قاسى شعبنا من الحزبية والتمزق والانقسام الشىء الكثير .. ولهـذا يجب أن يكون كل عربى فلسطينى من الآن فصاعدا متفهما لطبيعة معركتـه متجردا من كل شىء الا الايمان بالعودة الى وطنه قولا وعملا . وليذهب موزعو المنشـورات فى بيروت ومصدرو البيانات الهزيلة الى الجحيم .

تحسين عبد الحى

---




**كلمة الى لطفى الخولى**
**بقلم محمد محمد شاهين**

الاستاذ لطفى الخولى فى مقاله « موقف الصراع وموقف التقدير من العقاد » كان كما يقول الشاعر :

كجزار اليهود لبقر براها من العيوب وعقر

من ثنايا حديثه لمست نغمة ما كنا لنسمعها فى حياة الفقيد العظيم ولكنى انبهه الى ان العقاد وان طواه الثرى سيجد الوفا من الناس سوف تهب للدفاع عنه باحر مما كان المفكر الراحل يدافع به عن نفسه .. ولن ارد على كل ما جاء بكلمة الاستاذ الخولى ولكنى ارد على نقطتين بارزتين فى كلمته ..

**اولاهما** قوله « اذا كان الموت بطبيعته يفرض فى ايام الفجيعة الاولى بسبب ما يثيره من النفس من المشاعر والاحاسيس نوعا من الذاتية المفرطة فى تلوين صورة الفقيد وتقديم مواقفه »

وكانى به يريد ان يصف ما كتب عن العقاد بعد رحيله عن دنيانا بانه كان من وحى فجيعتنا فيه .. والواقع ينطق بغير ذلك .. اذ ان كل ما كتب وقيل عن فقيدنا العظيم اقل من القليل اذا ما قيس باعماله ومواقفه البطولية الخالدة .. بل ستأتى الايام فيما ستأتينا به ـ بعد مضى ايام الفجيعة الاولى على حد قوله ـ بمزيد من التقدير العميق على اساس راسخ متين مما ستكشف عنه الدراسات الجادة المتانية لما ترك راهب الفكر فى محرابه من قيم فكرية خالدة.

**ثانية هذه النقاط** : هذه الفقرة العجيبة فى مقاله « دافع العقاد عن الذات المفردة ضد الجماعة والجماعية .. وعن الملكية الفردية ضد الملكية العامة .. وعن الديموقراطية الراسمالية ضد الديموقراطية الشعبية .. وعن العباقرة بالمفهوم النتشوى ضد من اسماهم بالرعاع .. وعن الشعر التقليدى ضد الشعر الحديث .. وعن مدارس الفن التشكيلى التقليدية ضد بيكاسو . » مجموعة رهيبة من الاتهامات قد رصها صاحبنا كعريضة اتهام يحاول ان يثبت بها ان العقاد كان يدافع عن قيم الماضى ضد قيم الحاضر .. وهذا الكلام كله باطل يلبس ثوب الحق .. فلو فرضنا جدلا ان كل هذا الكلام صحيح .. فان صلابة العقاد فى هذا الموضوع هو ان الرجل قد اقتنع كمفكر بينه وبين نفسه بكل هذا ومنذ وقت بعيد ثم هو لاينافق ولا يداهن مادام لم يقتنع بغير ذلك .. ان للمبادىء الجديدة رجالها الذين يؤمنون بها ولن يضيرهم موقف العقاد ولن يثبط هممهم الا اذا كان ايمانهم ضعيفا لا يعتد به .. بل لابد وانهم سيتعلمون منه كيف يكون الايمان بالمبدا وكيف يدافع الانسان عما يعتقد انه الحق .. بل بغير ذلك ..

انّ موقفه هذا اشرف وادعى للتجلة والاحترام من موقف كثيرين كانوا يدقون الطبول لمبادىء ثم سرعان مادقوا نفس الطبول لاضداد تلك المبادىء ربما دون اقتناع .. ويقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم .. وليس العقاد من هذا الصنف .. وحقيقة لو ان العقاد كسبته التيارات الجديدة لكان هذا داعيا الى

الغبطة الغامرة لكل الجماهير التى آمنت بالمفاهيم الجديدة ٠٠ الا ان الرجل سبق وحدد لنفسه وبمنطقه مبادىء ومثلا وما كان بوسعه ان يسلخ جلده ويصبح شخصا آخر ٠٠ وبهذا فهو لا لوم عليه فى هذا ولا تثريب ٠

اما الحديث عن الشعر الحديث وبيكاسو فيختلف ٠٠ فما كانت ثورة العقاد عليهما ثورة على مدارس الحديث بشتى فروعه .. فما سمعناه هاجم اللا معقول فى المسرح أو الرمزية فى الادب وما عاب يوما اندريه جيد أو بريخت او بكت او اونو .. بل ان هجومه على الشعر الحديث هو هجوم على المستسهلين الادعياء الذين وجدوا فى هذا النوع من القول مجالا يحتمل ادعاءهم وتخريفهم .. وثورته على بيكاسو هى ثورة على الفن بلا قواعد ولا مفهوم حسب منطقه الصارم الذى ارتضاه لنفسه والذى كان طابعا مميزا لاصالته وعبقريته ونبوغه رحمه الله .

## رد على تعقيب للدكتور عبد الرحمن عثمان

عقب الأستاذ عباس خضر بكلمة فى الرسالة فى عددها ١٠٥٣ الصادر فى ٣/١٩ ، قال فيها : انه كان يخالف العقاد ، ويعارضه كثيرا بعقله !! ، ولقد مات العقاد رحمه الله وبموته أمن المعقب من صرامة الرد ومناقشة الحساب ، ثم ناقش حديثنا للدكتور طه حسين بما ظن أنه الصواب ، وبعد هذين استوى أمامى ليلقى على درسا فيما ينبغى أن أكتبه عن النقد الأدبى ، فرسم لى الطريق ، وحدد لى الموضوعات ٠٠ مما ذكرنى « العناصر » التى كان يمليها علينا أساتذتنا فى دروس الانشاء ونحن صغار !! ، والنقد عنده يجب أن يقتصر على : « حياتنا النقدية الآن ، من مثل المجاملات الشخصية ، والحملات الكيدية ، ونقد الشيل الذى يشيد بكل ما يأتى به أفراد « الشلة » ويتجاهل أو ينتقص غيره ، الى آخر ماتعج به صحفنا اليوم » ٠

استاذى الزيات :

انت الحكم ، واليك الراى الاخير فيما تقدنى به المعقب الفاضل ، ففى صفحة ٢٧ من العدد ١٠٥٣ يقول : « والأدب الرمزى كذلك موجود فى العربية كما هو موجود فى الأدب الأوربى ، وأقرب مثال له فى العربية الأدب الصوفى » ٠

فاذا قضيت بأن الرمزية الأوربية تلتقى مع الرمزية الصوفية ، أو تتشابه حتى مع الرمز الكنائى عندنا فى أى صورة من الصور ، وجب على حينئذ ان اصحح أخطائى ، باعتناق راى السيد خضر ٠

## تعقيب على الرد
### بقلم عباس خضر

ناقشت العقاد وطه حسين ، ولا باس بأن اناقش ثالث الثلاثة !

قلت أن عنوان مقاله ( انحراف النقد ) يفهم منه أنه سيتناول ما يجرى فى حياتنا النقدية من المجاملات الشخصية ٠٠ الخ ، ولكن المقال جاء فى أشياء أخرى لا تعد انحرافا فى النقد ، منها الأخذ بالادب الرمزى ٠ ففهم ثالث الثلاثة انى ارسم له الطريق ٠٠٠ الى آخر ما قال !

وفى تعقيبات الأسبوع الماضى كلام على الرمزية الاوربية والأدب الصوفى يحتاج ثالث الثلاثة الى ان يرجع اليه ٠

هذا وقد قال أستاذنا الزيات عقب اطلاعه على ذلك الرّد وما فيه من الاحتكام ــ قال : لا شك ان الادب الصوفى أدب رمزى ٠ وهذا يطابق ما قلته وما يعرفه كل دارس ٠

ولست أطمع فى ان يصحح « ثالث الثلاثة » أخطاءه أو يعتنق رأيى ٠٠

## كلمة دفاع
### بقلم محمد عيد عثمان

فمن سيادتكم يا أستاذي العظيم اقتبسنا الكثير ومما اقتبسناه الجسارة والصراحة والعجز عن سماع باطل لا نرده أو خطأ لا نقومه ومن ثم يا أستاذي العظيم سأستسمحكم في نقد مطلع « ألوان » ارضاء للضمير وقياما بالواجب وانصافا للحقيقة .

انى أعرف جيدا يا أستاذي العظيم كيف تحقد — هي وهو — على سيادتكم وأعرف أنهما كثيرا ما حاولا عبثا أن يطفئا نورا أبى الله الا أن يتمه صونا للغته وحفاظا على شريعته .

ونعرف أخيرا أن تقدير الدولة لكفاءاتكم — وقد كان لازما — قد أثار كامن حقدهما ودفين غلهما فكانت هذه الصرخات وكان هذا اللطم وذاك العويل على صفحات عرجائهما .

ولكن من الذى قال يا أستاذي العظيم ان الشر ينبغي أن يقابل بمثله ؟ وان من افترى خليق أن يفترى عليه ؟ هذه واحدة ولا أريد أن أقف عندها طويلا لأن مطلع ألوان الأسبوع الماضي آلمني رغم كرهي — له — وحبي الذي لا يعرف حدا لصاحب الرسالة العظيم .

ثم — وهذه هي الثانية والأخيرة — هل — هي وهو — مجردان حقا من كل فضل ؟!

انكم بلا مراء يا سيدى الأستاذ الزيات تمثلون هرما من المجد والفضل وسيادتكم غير منازع غير مدافع أحد القلائل الذين يكونون قمة هذا الهرم .

ولكن أو ليس للهرم سفح ؟ أو ليس بين السفح والقمة درجات ؟ بلى ؟ والتاريخ لن يعدم لهو — ولها — مكانا بين السفح والقمة .

فرجاء يا من أنت معقد آمالنا ومناط رجائنا أن تغلق هذا الباب الى غير فتح وأن تعفينا من قراءة هذا — اللون — ولو بقيت عرجاؤهما تنضح بالالم والعدوان .

على أن شيئا من ذلك لن يضيرك يا صاحب الرسالة العظيم فما أنت وهما الا كما يقول القائل :

انا وما تلقى لنا أن هجرتنا
كالبحر مهما تلق في البحر يغرق

**الرسالة :**

**يكفي العقرب ما نالها ، وان عادت عدنا لها .**

## تعقيب على قصيدة الشاعر محمود غنيم
### بقلم على عبد الونيس عبد الله

في العدد ١٠٥٣ من مجلة الرسالة الصادر في ١٩ مارس الماضي قصيدة (دمعة على العقاد) للشاعر محمود غنيم .

نأخذ عليه ما يلي :

يقول الشاعر :

**(لاتلوموه) على اخلاقه    هكذا رب البرايا طبعه**

اللوم لا يقع الا على المخطئ، ولم يكن العقاد مخطئا حين كان متمسكا برأيه حين يرى أنه الصواب نفسه .

وينبرى الشاعر ويقول لقد خلقه الله هكذا فلا تلمه ، ان العقاد لايلام على التمسك بمبدئه ورأيه وعقيدته فكلمة (لاتلوموه) كان يجب ابدالها بكلمة (لاتحسدوه) اذ كان مثالا للخلق والادب والرجولة.

كذلك حشد الشاعر كلمات ثقيلة على القارىء كهذه الكلمات مهيعه .. الامعه .. جمجمه .

واللغة العربية غنية بالكلمات السهلة التي تؤدى نفس المعنى وهو في ذلك يقلد الشعراء القدامى في استعراض عضلاتهم اللغوية .

ردود قصيرة :

● عطية محمود عاشور .. يشكر الرسالة لأنها الى جانب أقلام الاساتذة الكبار تتيح فرصة للاقلام الشابة ، ويرسل كلمة بعنوان « الشاة الشاردة » ، ويهمنا أن نقول انها عرضت على السيد رئيس التحرير كما أحب .

● محمد عبد الرحمن السحرتي .. يقول ليت الناس يهتمون بدينهم وقضايا أمتهم مثل مايهتمون الآن بالكرة والحديث عنها .

● عبد السلام حافظ محمد ، يشكو من توقف الفصل الدراسي الذى افتتح في مدينة الاقصر ، ويرجو أن تبحث مديرية التربية والتعليم بقنا هذا الأمر .

● محمد يونس عبد العال .. يحيى الاتجاه الذى تسير نحوه الرسالة ، ويطالب ببعض المعارك الادبية

● ارسل الشعراء الآتية أسماؤهم بقصائد الى الرسالة وهم سامى سيد محمد طه ، وبدر الدين محمد بلال من السودان ، وسليمان احمد حسن من دمشق ، وهاشم المهدى الشريف من ليبيا ، ومحمد الامين دياب من السودان ، وحسن السعدى من العراق ، وعبد الكريم دياب ، وقصيدة رقيقة من الشاعر اللبناني حميد الياس غرياني بعنوان : « يمامة الشوق » .

# حساء المساكين بقلم الروائي الفرنسي ج . ن . بوني

ترجمة : احمد أبو الخضر منسي

حق علينا ان نقتصد في مالنا من اى مستوى كنا في المجتمع البشرى . فالعامل الوضيع الحال ، اذا عرى من هذه الخلة التي هي من تلزم مايلزم الاتصاف بها ، تعرض لاشد الاذى وبالغ الضر ، والمتوسطون حالا ومعيشة ان هم جانبوها فقدوا ما لهم من عزة واستقلال ، والسرى المترف ان كشح عنها بجانبه الحمته الغمرات من الحرمان وشظف العيش مالاقبل له به ، والشريف المسود في قومه اذا رام عنها صدوفا ذل بعد عز ، وكسف مجده بعد اشراق ، وصاحب السلطان نفسه ، ان نابذها ولم يزن بها ناجه اوقع بلاده في الازمات بعد الرفاهية ، وشعبه في شقاء بعد نعماء ، وسلطانه في ضعة وهوان بعد رفعة وبهاء .

وما من احد يامن من قوارع الخطوب ونوازل الاقدار ، ولكن الله قد وهبنا نعمة الفطنة ، والنظر في المستقبل ، لقد شاء ربكم الا تبطروا حين ترتعون في بحبوحة النعيم ولذات العيش الرغيد فتعموا من النظر في عقبات ماقد يعقبها من غير وانقلاب حال ، وان في ظل اسعد يوم عشناه لانتسى ماقد يلم بنا في غده من الطارقات .

والى الطبقة العاملة ، الى ذلك الحشد العظيم من الشعب الذى يستحق منا الرعاية والعناية ، نوجه خاصة ذكر هذا الحادث الصادق ، وهذه الصورة الواقعة ، مما سنسرده عليهم . وان لامثالها كثيرا يحمل في طياته العبر . وعسى ان طائفة العمال خاصة ، ارباب الاسر منهم الذين يتلون هذه القصة التي التزمنا في روايتها الصدق والامانة يوقنون بان في لذات الاسراف العابرة الندم واللهفات ، اذ بدون الاعتصام بالنظام والاقتصاد لا قرار ولا طمانينة تسود بيوتنا ، وذاك راس ضرورات الحياة ، راس مطالب العيش ، ولا الظفر بذلك الاعتبار والتقدير الذى نلقاه من الناس ، والمتجرد منهما لايعد في عدادهم .

كان مارسيل وسباستيين من حذاق الحجارين ، يعملان منذ سنين عدة في مشغل واحد لاحد مقاولى المباني المشهورين في العاصمة . وكان كلاهما ذا زوج وبنين . وكان لمارسيل ثلاث بنات ربتهن امهن على حب العمل والطاعة للوالدين باحسان ، وكان لسباستيين ثلاثة ابناء صغار اكبرهم في الثامنة واصغرهم ابن ست سنين ، لطاف لا تنبو العين عنهم ، الا انهم تركوا وحبلهم على غاربهم يعربدون ويعيثون .

وبينما السيدة مارسيل ، تحف بها بناتها اللواتى عودتهن بارشادها الخياطة والتطريز ، وديدنها المحافظة في بيتها على نسق بديع ونظافة تعجب الناظرين ، كانت السيدة سباستيين شحيمة لحيمة مرحة لاهية ، تجرع من كؤوس اللذات ماطاب لها ، وقد عرفت في الحى قاطبة بالثرثرة . وكانت تتسكع اذ تمضى لامتيار الزاد ، في احاديث الهذر مع بائعة الفاكهة ، وتعوج بائعة الخبز تتوضح الوجوه وتستثبت كل وارد وصادر ممن يؤمون حانوتها ليمتاروا . وقل ان تعود الى مثواها الا بعد ساعتين او ثلاث يكون ولدانها الثلاثة قد تماسكوا بالتلابيب وتضاربوا ، واذا هم قد دميت وجوههم ، وتمزقت ثيابهم ، وتضاغوا من جوع ، فتسكن اوراهم بتوزيع قطع الحلوى وثمار الفاكهة بينهم .

وعلى قدر ما كان مارسيل وسباستيين قد انعقدت بينهما اواصر الالفة والتآزر ، في مختلف العامل التي جمعت بينهما ، كانت زوجتاهما مختلفتين متلاحيتين رايا وعادات . وندر ماتلاقيان ، او تقوم بينهما انسة والفة ، رغم انهما متجاورتان. وكانت السيدة سباستيين لا تنثنى عن ان تلوك مع اترابها في الحى سيرة السيدة مارسيل ، ومسلك التحشم والتحفظ الذى اتخذته دينا لها ، فتنعتها بالمتزمتة ، والشحيحة المقترة ، والمستبدة الداهنة التي تسوم زوجها الذل ، فصيرته عبدا عسيفا . اما السيدة مارسيل فقد لاذت بالصمت ، لا تتحدث مع احد عن اخلاق خصيمتها التي لاتبرح تقع في عرضها ، وتنعتها بمهذارة الازقة والحوارى ، امراة رعناء لاهم لها الا لذاتها ، ولا تحفل بامر بيتها واولادها الا بالنزر القليل .

وما اختلفت هاتان المراتان وقامت بينهما الوحشة الا لان احداهما كانت غيرى مما ساد في بيت الاخرى من رفاهية ونظافة ، ومن هيئة حسنة لبناتها الثلاث مع بساطتها . بينما اولاد تلك شاردون في الازقة ؛ بينهم شجار وضراب مستمر . ولطالما كانت السيدة مارسيل تعود بهم الى والدتهم ، فيبدو عليها حينئذ الانكسار والخزى اذ تفاجا وقد بدا بيتها قد عاث فيه الاختلاط وسوء النظام ، وانها هي نفسها قد بدت في ثوب مبتذل زرى علاه قذر ودرن ، بينما ترى على مؤخر فراشها ثوبا من فاخر القماش ، ووشاحا من رقيق التل ، قد اعدتهما لتلبسهما في غدها ، في المرقص الكائن في حى لافيليت . والواقع هو ان سباستيين وامراته كانا يتوجهان كل يوم احد مع اولادهما الثلاثة الى السهر في اشهر حانات الضواحى ، ولا يعودون الا وقد اعتكرت ظلماء ليل . فاذا هم مسرفون قد بددوا في يوم واحد ما ربحوه في اسبوع .

اما مارسيل وزوجته فالمذهب قويم ، والمنهج حميد ، وبين مسلكى الاسرتين بون بعيد . كانا يقضيان صدر يوم الاحد في اقامة شعائر الدين مع بناتهما ، ثم ينظران في امر نفقاتهما ، وحساب ما ادخراه من المال . وتاخذ ام الولائد الثلاث تملا فراغهن بنتف من قراءة نافعة مسلية . وبعد اصابة طعام هنىء مرىء كعجالة الراكب ، يتوجهون رجالة الى حديقة النباتات ، او يؤمون شواطىء نهر السين ، ما وسعهم السير ، في نزهة ممتعة ، او يتطرفون الى غابات فنسين . وهناك وقد مد الاصيل رواقه ، يربضون تحت سقف ظليل من افنان شجرة مورقة ، وعلى مهاد من عشب غض النبات ، يتملون بلهنة خلوية شهية ، قبل العشاء ، قد اعدوها قبل رحيلهم ، وحسوا معها بعض شراب من الجعة المجلوب من حانة قريبة منهم هناك ، فياخذهم الطرب يتهللون ويضحكون ، لا يسمعون لغوا ، ولا تؤذى اسماعهم عربدة السكارى واصوات الغانيهم ، اذ هم قد انزووا في حجرة في خلوة نائية في رقعة هذا المتنزه الفسيح ، وما مس طهر البنات سوء . وما ان تتوارى الشمس عنهم في حجب الفضاء ، حتى اذا هم عائدون في حافرتهم الى ديارهم ، ما انفلوا الا

شيئا يسيرا في خير لهو وطيبه . بينما سباستيين واله ينقلبون من لهوهم صفرا جيوبهم ، باهظة نفقاتهم ، مخمورة رؤوسهم ، تصدع من الوهن والاعياء ابدانهم ، قد ارهقهم الكلال والسأم فقعد بهم عن مواصلة اعمالهم في صباح غدهم .

وليس عجبا ان ترى مارسيل وسباستيين ، لدى عودتهما الغداةالى عملهما ، وقل ان تجد سباستيين قد حضر الى عمله الا وقد ترجلت الشمس ، وذوى من النهار نصفه الاول كله ، مما اصابه من عقبات ملاعب ولهو امسه المضنى ، يفيضـــان في حديث ماجرى لهما من متع سهرتهما ، فكان سـباستيين وهو ساهم الوجه ، منتقع اللون ، قد مشي الخدر في اعضائه ودب دبيبه ، يقص على صاحبه كل مالذه واستخفه في مرتع لافيليت ، ويعدد في اختيـال ما انتشى ، ومالها ، ومارقصت امرانه ، وما لعب اولاده وعربدوا ، وكيف انهم آخذون اخـذ ابيهم . ومن شابه اباه فما ظلم . حتى اذا افرغ جعبتـه ، أخذ مارسيل يحكي له ما كان من نزهة وطعام لهم في غابات فنسين طابا وحسنا مغبة ، وجعل يطنب في ذكر خصال حسـان لبناته تزينهن ، هن ثمرة غرس أمهن المباركة .

فقال سباستيين : على رسلك يا مارســـيل .. ولا تلق الكلام على رسيلاته . وكف الحديث عن هؤلاء الزهوات المختالات اللواتي ترفعن عن ملذات الشعب وملاهيه ، وهن مايحسن الا مـافاة ازواجهن الجمة . انك مغموز القناة ، منقاد الى امرأتك انقيادالطفل الغرير . وانك لعمري قد امسيت اضحوكة في افواه زملائك .

تالله ياأخي ، ماأنت باكثر انقيـادا منك . اختلفت الاذواق منا ولا جرم . وهذا كل مافي الامر . اما انت ففاحش اللذات ، مولع بمجالس الشـــاربين والشـــاربات ، ومجامع الراقصين والراقصات ، واندية المقامرين والمقامرات ، اما انا فلا يطيب لي الا مقـــاعد الغيطان والخـــلوات ، تلوذ بأفياء الغصون ، وكل حقيق بان يصون ما اقتنى وما كنز .

وما أعلم من ذلك ما هو انفس من محاسن طباع زوجتي وخصال بنياتنا .

ـ لعمرى ما اجدك مما تنفخ به من قولك هذا ، الا انك صدى لامرانك ، وما تبرح صدى لها . انها امرأة كزة اليدين ، لاتدع لك فلسـا في جيبـك ، مزهوة تستعلى على اترابهـا أسفت وصغرت أن تحادث جاراتها ساعة من الدهر .

وتزدريهن . انها لاضبارة من أسفار متمالة تحسب ان قد

ـ وانت يا سباستيين يا من ترميني باني صدى لامرأتي الست الآن ـكالببغاء تردد قول بعلتك ؟ فكما انها مسـتهترة بالانكباب على اللذات وهي منغمسة في ادنى منزلة ، وانها مضياعة تتلف كل ما انت كاسب ، فكذلك هي تعيب اهـــل التـدبير والاقتصاد ، ولا غرابة في ذلك ... ولكن دع ذا ، وعد الى القول بان زوجتينا لا تأتلفان البتة : افنعاب على هذا ؟ وهـل فضي علينا ، من أجل ذلك ، الا نعيش متوادين متصافين ؟

ـ كلا ، ولا شك ، انك لمحق . ما اجدك صادا عن تناول الطيبات قصدا واعتدالا ، كما اصيب انا منها شرها واسرافا ، وانك للرجل الطيب المحمود ، ولهذا تراني متسخطا ان اجدكم مفارقين لنا منابذين ، وان اراك اسلمت مقادتك صغرا وهوانا .. ولكن فلندع امرأتينا ، كحد قولك ، تصنعان ما حـلا لهما .

ولتدم بيننا مودة الخليلين . هلم يدك !

ـ حبا وكرامة .

ولكي يـزول عني وعنك كل ماافضنا فيه من القـول ، اصحبني تساق كاسين من رحيق الزبيب .

ـ انت وذاك ولكن على شرط ان اكون انا الادب : انى احب ان تعـرف ان امرأتي على كونهـا مدبرة مقتصـــدة ، لا تقصر في ان تترك لي شيئا من النقود في جيبي .

وانقطع هذا الضرب من الحوار بينهما : كانا نعم الرجلان ونعم العاملان . فما الفيا بالا الى اختلاف مابينهما من المعيشة ولا تناقض مسلك الزوجتين ، وتركاهما ترسلان السـنتهما ذما في بعضهما دون ان يتدخلا بينهما . واذا ما اشـتد اللحاء بين المرأتين واحتدم تدخلا بسلطان لفض مااستحر من هذاالنزاع بينهمـا . وكان هـذا التسامح منهمـا يزيـد روابط الالفة والاحترام بين الرجلين . وماعدا يوم الاحـد الذى كان كل منهمـــا يقضـيه على مجـرى متحـاه كنت تجدهما مجتمعين في مشغلهما ينحتان معا كتل الحجارة كما رسم لهماالمهندس .

وذات يوم اذ كانا بمارستانافامة جناح مبنىيزاد علىاحد مـلاجى باريس ، رأيا عجبـــا !! قصاعا من حساء معجـل يوزع على حشد كبير من مساكين ذلك الحى ، صنعته لهم نسوة محسنات خيرات . كان هؤلاء الصعاليك جالسين على أرائك من حجارة على امتداد الملجا ، وكل منهم ممسك بصحيفة مترعة من هذا الحساء البسيط ، كان مع ذلك كفافا لغذائه وتعشـا للقواء . وكان بعضهم يلتهم هذا الطعام السـائغ بملعقة من خشب او قصدير قد تجهز بها ، ومن لم يستطع منهم طولا راح يتنقى محارا زوى في بعض الطرق فيرحضه بماء في حوض قريب . فياله من منظر يثير في النفس الحسرات ! وان فيه لعظة بالغـة لمن زلت بهم القدم فارتطموا في شهواتهم ، وبذخهم الفاحش ، فهووا من حالق يذوقون عذاب البأساء والضراء ! وانه لمثل صالح لذوى اليسار الذين يستطيعون مس الام البشرية المعذبة بيد الغوث والاحسان ، فترفع لهم الدعوات الصـالحات اذ بذلوا للمساكين ما يطـرحونه من فتات موائدهم وفضلات ولائمهم !

ـ قالمارسيل لصاحبه : لاتكران ان ذوى الفاقة والمسغبة يجدون في باريس رفدا كثيرا ، وغوثا كريما ، وان اهل الخيـر يتوسلون باوفق الوسائل تلطيفا لآلامهم .

ـ فقال سباستيين : ذلك لا محالة هو ما بعث في الناس حشدا جما من ذوى البلادة والتشرد . فلو ان الاغنياء تزروا من اعطياتهم لهم لصاروا مثلنا مضطرين الى نحت الحجـر ، واحتمال حمة البرد ، ولظى القيظ في مواطن العمل .

ـ وما عساك تصنع في ذلك ؟ ان الاحســان لا يميز ولا ينتقى ، فهو يعطى الجائعين ما يأكلون .

ـ قال سباستيين لعمرى . لا بد ان يكون الناس في جوع دبقوع يأكل احشاءهم اكلا لما ، فيحملهم على ان يتتالوا على باب فندق يفتقدون مقاعد الحجر ، ليجرى في حلوقهم هـــذا الحساء الرقيق ، وما زادوا في ذلك على قطيع من الماشيـة حين ترعى رعيها ... أما انا فلن أسف الى هذه المنزلة . انها لسوأة .

ـ فقال مارسيل . لا عجب ان تقول هذا وانت تكسب

مثلي ، ما بين مشرق يوم ومغربه ، خمسة الى ستة فرنكات ، ولكن اذا اصابك حادث ، او ادماك جرح خطير ، او اضناك مرض طويل ، ووجدتك عاجزا ان تمد زوجتك وبنيك الثلاثة بما يسد الرمق لقيت قولك . والجوع كافر كما يقول المثل .

— لاجرم ان الرجل اذا القى باله الى كل خطب ملم ، وما تاتي به طوارق السوء التي تقطعنا عن العمل ...

— فانا تصبح اشد تدبيرا واكثر اقتصادا . اليس كذلك؟ هلا علمت اذا ان هذا هو ما تردده امراتي على سمعي ، واجدها راشدة . وعاقل الناس الذي يجمع في ابان الحصاد لزمان الشدة والكساد . وان ترد الماء بماء اكيس . كذلك يقول المثل .

— العجب مما تورد . ان مثلك هذا يهرف بما لايعرف. اني لاكره الا اعطش ابدا ، ولا سيما حين اغشى الحانات . ان قارورة النبيذ التي اجرعها لافضل عندي من التي اروم حسوها : لست احب ان اؤجل لذاتي الى غد ، واذا كانت هي اليوم ملك يميني فلن ادعها تفلت مني الا اذا اصفر الجيب اني بالغ اشدي ، صليب على العمل متين . في الاجل ساجمع وادخر ، اما اليوم فواها للمسرات ، ويا حبذا اللذات !

وهكذا كنت ترى في حديث الصاحبين ، كل له وجهة هو موليها . هذا ينعر امراته المبذرة الراكبة راسها ، المتهالكة على اللذات ، وهو واحد فيها وفاق ماعطفته نفسه عليه من اسراف في نزوات الشهوات ، وقلة مبالاة بنوازل الاحداث ، وذاك صنوه مع امراته ذات التدبير والكياسة ، لانه هو كذلك طبع على الاستقامة واطالة النظر في العواقب .

وهذا التناقض الكبير كان لابد يحدث بين ربتي الاسرتين بعض النزاع ، ودوافع الغيرة ، وان تجنب الرجلان المشاركة في ذلك ، حفاظا بما تو الفا عليه . ولكن وقع ما لا تنفع الحيل في رده . ذلك ان سباستيين الذي كان يعجز اشهرا عن دفع ايجار بيته اضطر الى الحلول في دار اخرى وضيعة في الطبقة الخامسة من بيت حقير . اما مارسيل وزوجته وبناته فقد قر قرارهم في ذات دارهم في عيش حميد . وما كان يمضي شهر عليهما الا وقد ادخرا جانبا من المال في صندوق التوفير . فانفصمت حبالهما اذ شط المزار ، وتناءت المساكن . وسكنت مع هذا الشحناء بين المراتين .

وبعد ان تغالى ملاك باريس الاثرياء في العمارة وقضوا اربا ، قلت الحاجة الى البناء ، وحل الركود الشديد ، فامسى العمال بعد درور الارباح عليهم في حال من الكسب العادي ، بل ان كثيرا منهم تعطلوا عن العمل . ومما زاد الطين بلة ان شتاء كلبا لم يقع مثله منذ سنين ، اقبل بشره وعره يذيق فئة العمال العذاب الاليم ، ولبث مارسيل وسباستيين ثلاثة اشهر لايجدان عملا . وانضم الى ذلك غلاء الاسعار ، وشحت حاجات المعيشة . ويالسوء مالقي سباستيين وامراته واولادهما ، وما ذاقوا من ضر وحرمان . وكل يوم يطلع عليهم كان متاع مما يملكون يباع تلو متاع حتى عريت الدار من نضدها ، ليجدوا ما ياكلون . وكان الاولاد يتضاغون جوعا ، ويقفقفون من لذعات برد كادوا منه يهلكون . ويومئذ ، وبعد فوات الاوان عضوا اصابعهم ندما على اسرافهم وسوء تدبيرهم ، ايام الاقبال وحسن الحال . وكان سباستيين يحمل امراته مغبة هذه الكارثة التي اقضت مضاجعهم . والمراة تلوم زوجها وتعزو الى سكره ومقامرته اسباب هذا البؤس والخراب المخيم .

وبخلاف ذلك كان العيش في دار مارسيل وذويه ، يصطلون بنار تدفع عنهم عضاض الشتاء العاتي ، وطعامهم وافر ، وكساؤهم يجلب الدفء لابدانهم . وما كان يشق عليهم الا ما كانوا مايقتطعونه مما ادخروه في صندوق التوفير . ولكن كان يخفف عليهم وطاة ذلك ما منوا انفسهم به من رد ما نقص وزيادته اذا زالت الشدة ، واقبلت ايام الفرج والعمل .

وقد اضر الشتاء البارد بامتداده بالناس ، فاكثر فيهم المعدمين ، والعراة الجائعين ، فامتدت اليهم ايادي المحسنين ، والطاعمين الكاسين . وكان من هؤلاء الاجواد تاجر جوهري ، في باريس ، يوزع بواسطة اعوانه في كل مقبل نهار ، على حشود من الجوعى المساكين اربعمائة وعاء من حساء دسم ، ويرضخ لكل ام تحمل طفلها شيئا من النقود ، واخذ اخذه في ذلك من استطاع من اهل الخير .

وفصل مارسيل وزوجه من بيتهما ، يشاهدان هذا الصنيع المبرور ، وسرحا الطرف الى هذا السماط الممتد من هؤلاء الفرائى المساكين ، وهم يحسون ماجاد به عليهم المحسنون من هذا الحساء الطيب . ولكن اعظم بدهشة عرتهما اذ لمحا سباستيين وامراته وقد جثما على الطوار قريبا من الآكلين يسالون الناس احسانا . فصرخ مارسيل صرخة متفجع مبهوت، فخرقت صيحته سمع صاحبه ، فاحمر وجهه خجلا اذ راه ، واطرق خزيان منكسرا ، وعرا امراته حين وقع بصرها على زوجة مارسيل التي طالما وقعت فيها ، وارسلت لسانها بذمها انكسار وندم . وهمت تفر وتتوارى في زحمة الناس ، ولكن امراة مارسيل كانت اسرع اليها من ارتداد الطرف فاستوقفتها وعاتبتها كيف تخجل ، وما بالها لم تلجا الى اصحابها القدماء. وكان لكلامها الرفيق وما ابدت لها من عطف اثر عميق ، واقبل مارسيل على صديقه سباستيين يعانقه ويعتنق به ويلاطفه قائلا :

— ويحك ! يا صديقي ، ماحملك على هذا الهوان ! ... هلم ، الى بيتي ! ... ان مالي بيني وبينك قسمة سواء ، سترد ذلك لي يوم تعود الى العمل ... متى وسعك ذلك ... الى ميسرة ، بل لاشيء اذا شئت ... ولكن ناشدتك الله الا جنبتني مضض ان اراك تسال الناس ... اواه ! حقا ما نطقت به زوجي : ما بالكم صدفتم عن اصدقائكم القدامى يوم الشدة والاضاقة ؟

واقام سباستيين وامراته وبنوه في بيت صديقه طاعمين ناعمين . وقد عقدت بين الاسرتين روابط مودة لا تنفصم ، الى ان اقبلت الايام البيض ، واضمحل الازل بعودة الاعمال . فقضى سباستيين لصديقه دينه . وانقطع ما كان بين الاسرتين من خلاف ولحاء . وصد سباستيين وامراته عن سبيل الغواية. وايقنا ان حسن التدبير والاقتصاد انعمهما عميمة ، وسبلهما امنة من المخاطر وسوء العاقبة . والى على نفسه الا يعود ما عاش الى حساء المساكين هذا .

احمد ابو الخضر منسي

الدار القومية للطباعة والنشر